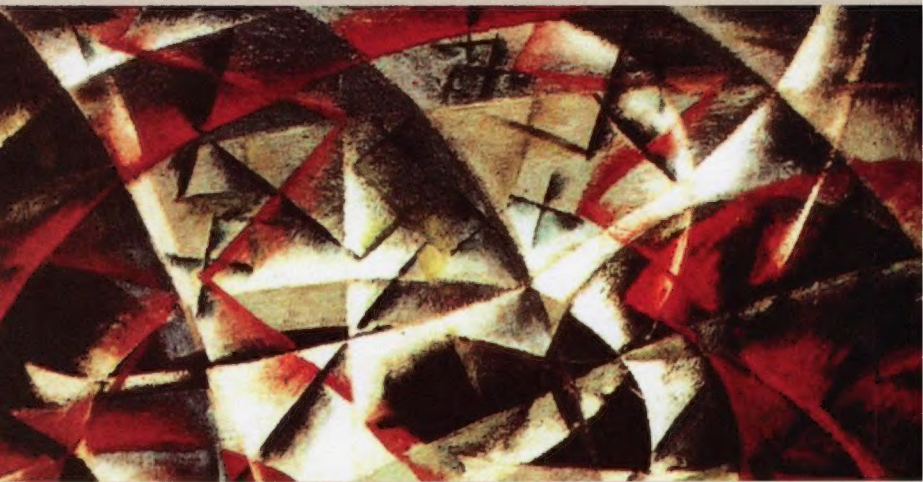


أ. ج. غريماس



سيميائيات السرد

ترجمة وتقديم
عبد المجيد نوسي

المركز الثقافي العربي



تصطلح عليه النظرية بالتركيب السردى السطحي : يتميز هذا النحو بالصفة المؤنسة، وهي تخالف الصيغة المنطقية التي تخصّص مقولات النحو العميق .

تبعاً لهذا التصور، فإن المفهوم القاعدي للنحو العميق هو العملية التركيبية، أما المفهوم الذي يوافقه على مستوى التركيب السردى السطحي هو الفعل التركيبى . إن علاقة التساوي بين العملية التركيبية والفعل تفضي إلى إدماج البُعد المؤنسن داخل النحو انطلاقاً من أن الفعل يستلزم حضور الفاعل الذي يمكن أن يكون فاعلاً إنسانياً أو مؤنسناً، كما أن الفعل يتضمن إرسالية بين المرسل والمرسل إليه . إن الفعل داخل المنظومة السيميائية لا يتمثل في الفعل الواقعي، ولكن يتعلق الأمر بـ «الفعل اللغوي» كيفما كان شكل اللغة التي يتمظهر داخلها، طبيعية أم غير طبيعية .

إن عمليات النحو العميق تحوّل إلى ملفوظات سردية تتخذ صورة معيارية بسيطة هي جماع فعل وعامل . وتُعد الملفوظات السردية ملفوظات تركيبية، بحيث تكون مستقلة عن المحتوى الذي يستثمر في فعلٍ معيّن .

وقد اقترحت السيميائيات السردية نمذجة للملفوظات السردية بهدف استقصاء كل أنواع الملفوظات . وتُبنى هذه الملفوظات بإدماج قيود دلالية مثل «الإرادة» أو «المعرفة» أو «القدرة»، حيث تمكّن القيود من بناء الملفوظات الجهمية التي يمكن أن تُصوّر صوراً معيارية . إن إدراج المقوم السياقي : «أراد» في صياغة ملفوظ، يمكن أن يؤول الملفوظ الجهمي بصفته «رغبة في التحقيق» لبرنامج يكون موضوعاً . لذلك، يمكن تخصيص هذه الملفوظات بصياغة صورية :

م.ج: ف: أراد/عا، مو/.

من بين وحدات النحو السطحي، ستقترح السيميائيات السردية تشييد وحدة الإنجاز. إنها تشيّد بتعالق مع وحدات النحو العميق. ويعدُّ محور التناقض فضاء لعمليتين: نفي العناصر وإثبات العناصر المناقضة. وهذه المتوالية توافق تحوّل قيم المحتوى نتيجة لعمليات النفي والإثبات. إن التمثيل المؤنس لهذه التحولات يظهر على شكل متتاليات من الملفوظات السردية، تقوم على خاصية المواجهة بين ذاتين (عا/1 عا/2)، وتستند هذه الخاصية إلى فعلين متناقضين. تسمح هذه الخصائص بالقول إن الإنجاز يتميز بطبيعة جدلية قوامها الصراع والمواجهة.

أما على مستوى التقييد الدلالي للفعل التركيبي، فإنه يقيم علاقة تساوي بين عملية النفي والهيمنة بصفاتها نتيجة للمواجهة الجدلية. نلاحظ أن هذه الدراسة حول النحو السردى قد أبرزت مظاهر التعالق بين مستويي النحو العميق والسطحي، كما تبين كيفية تمثيل العمليات المنطقية من منظور مؤنس. يتخذ هذا التمثيل شكل ملفوظات سردية تتمفصل إلى علاقة بين عوامل. وقد أفضى هذا الجهد النظري إلى بناء وحدة سردية على مستوى التركيب السردى السطحي، هي وحدة الإنجاز التي تتسم بطابع جدلي تركيبى.

يتحصّل من هذا البناء النظري أن الأفعال والعوامل تُعد عناصر مكونة للنحو السردى، وأن الملفوظات تُعد الأشكال التركيبية الأولية لهذا المستوى. كما أن الوحدات السردية - يمثلها نموذج الإنجاز - تتمظهر على شكل متتاليات من الملفوظات السردية.

تسمح، إذًا، عناصر هذا المستوى باستيضاح المقولات الدلالية

- وقد تصورت السيميائيات وجود نوعين من بنى الفواعل :
- التمظهر الفواعلي الموسّع : ويتميز بحضور فاعل مستقل لكل عامل أو دور عاملي .
 - التوزيع الفواعلي المختزل : يتحقق حين يكون هناك فاعل يتحمل مسؤولية العوامل والأدوار العاملة .
- إن استقراء المتخيّل السردّي يُبرز أن الخطاب السردّي يقوم على مجموعة من الأدوار العاملة تتمظهر بواسطة فواعل بصفته عناصر للخطاب .
- إن الفواعل هي أدوات مفاهيمية تسهم في استيضاح مسارات ومسالك المعنى في الخطاب السردّي .
 - هي أيضاً بمثابة فرضيات يفضي إسقاطها على النصوص السردية إلى تنمية المعرفة بينائها .
- لذلك إن الإجراءات الضرورية للتعرف إلى عناصر الخطاب ، ومنها ترهين الفواعل ، تُعدّ أمراً حاسماً على المستوى المنهجي :
- من أجل تحقيق هذه الغاية ، يستند غريماس إلى اللسانيات عند يامسليف ، وبخاصة مفهوم الصورة . إذا كان العامل يتسم بطبيعة تركيبية ، فإن الفاعل يمتّ بالصلة أكثر إلى الدلالة ، إنه مثل وحدة معجمية اسمية ، يمكن أن تندرج في التركيب اللساني أو السردّي لتشتغل .
- إن التمييز داخل ترهينات النموذج السردّي بين مستوى سردي وخطابي ، يجعل عامل السرد يتابع مسارين :
- تركيبّي يقوم على البرنامج السردّي بصفته توزيعاً للأدوار العاملة .

الصورة الاسمية التي تحيل علي فاعل يمكن أن يكون لها موقع في المستوى الخطابي والسردى .

مثال الوحدة المعجمية يُبرز لنا شكل تكوّن بعض الصور، ومن بينها شخصيات الرواية؛ فالوحدة المعجمية، «صياد» مثلاً، تحمل في ذاتها كل احتمالات الفعل دلاليّاً وثقافياً، وحين تحوّل إلى تشاكل خطابي يدلّ على دور تيماتى يمكن أن يستعمل بواسطة المحكى، فإن شخصية الرواية التي تدرج حاملة، مثلاً، لاسم علم، تشيّد تدريجياً بالاستناد إلى التعبيرات التصويرية التي يمكن أن تشخّص المظهر الفزيولوجى أو المهني أو غيرها من مظاهر الشخصية، حيث تخترق الصور النصّ في كليته (مشكّلة مساراً تصويرياً) ولا تتشكل الصورة سوى في نهاية النصّ نتيجة فعل القراءة السيميوطيقى الذي ينهض به المحلّل، وهو إبراز التصويريات الخطابية التي يتكون منها وباختزالها إلى الأدوار التيمائية التي يقوم الفاعل بإنجازها .

إن الفاعل الذي ينجز مجموعة أدوار تيماتية، يمثل تمفصلاً مركّبياً لأنه يمكن أن ينجز أيضاً دوراً عاملياً؛ فهو، إذًا، ترهين وسيطي يحقق التعالق بين المستوى السردى والخطابى، بل إنه ينظّم الانتقال من البنيات السردية إلى البنيات الخطابية .

فالفاعل هو فضاء اتصال البنيات السردية والبنيات الخطابية، فضاء التقاء المكون النحوي والمكون الدلالي، بحكم قابليته لتحمل دور تيماتى ودور عاملى، حيث يبرز الدوران حدود فعله أو حدود كينونته .

إن العناصر النظرية التي تمّت صياغتها في هذه الدراسة تسمح

بإبراز آلية «تسريد الخطاب». نلاحظ، من هذا المنظور، أن النحو السردى يولّد مواضيع سرديّة «محكيّات». تأخذ هذه المواضيع شكلاً بصفتها مجموعة مسارات سرديّة، محدّدة بتوزيع للأدوار العامليّة التي تتحدّد بدورها من خلال مواقع وقيم جهية في إطار برنامج سردي. يمكن للموضوع السردى أن يستثمر بتمظهره خطابياً من خلال محتوى. يتحقّق الاستثمار الدلالي باختيار الأدوار العامليّة للأدوار التيماتية التي تستثمر المستوى المعجمي للغة وتبرز مثل صور تتخلّق على شكل تصويّرات خطافية.

في الفصل التطبيقي قمنا بترجمة مجموعة من الدراسات تستجيب لخاصية التمثيلية، حيث تبرز القدرة الإجرائية لعناصر النموذج التحليلي الذي صاغته السيميائيات على استيضاح شكل المغنى، من خلال وصف مستويات تكوّن الخطاب في مظاهره التركيبية والخطافية والدلالية.

يتمثل العمل الأول في دراسة غريماس للقصة القصيرة: الخيط لموباسان⁽¹⁾، وبخاصة دراسة مكوني الوصف والسردية. لقد عمل غريماس على تشغيل مجموعة من المفاهيم في التحليل، وبخاصة مفهوم الوحدات الوصفية والوحدات السردية، حيث سيعتبرها (على مستوى عام) نماذج توقّعية لتنمية المعرفة بالنصّ السردى.

من أجل تحقيق هذا الهدف، سيختبر أحد الإجراءات التي

Maupassant (Guy de), *Contes et nouvelles*, Gallimard, Paris, 1974, (1) p. 1080.

اقترحها السيميائيات: التقطيع، وهو الإجراء الشكلي الذي يحلُّ محلَّ الفهم الحدسي للنصّ. يستند في إنجاز التقطيع إلى معايير تتعلق بإجرائيات التخطيط، وهي التزمين والتفضية، في علاقتها بانتقالات الفاعل داخل الفضاء بناءً على أن الإطار المكاني لا يمثل إطاراً شكلياً، ولكن يعدُّ فضاء لانتقالات وأفعال الفواعل، ما يجعل العلاقات دالة سردياً. هذا التعالق يكون الطوبولوجيا السردية.

كما يوظّف التحليل مفاهيم الجدلية في النصّ السردى، حيث يُبرز التحليل أن البنية السردية تتقدم بصفاتها مواجهة بين فاعلين رئيسيين: الفرد والمجتمع.

كما أن الجدلية تتضح أيضاً على مستوى التقطيع بحسب المعرفة، حيث يتقدم المحكي بصفته مجابهة بين معرفتين، وبين نوعين من معرفة-الفعل: الفرد الذي يحاول إقناع الرأي العام والبطل-المضاد (المجتمع) الذي يواجه الفرد بتأويله الخاص للأحداث، هذه المعرفة الاختلافية تقابلها المعرفة المطلقة للذات الساردة التي تتحدث عن الناس وعن الأشياء، كما أنها تُعد حاضرة في كل مكان و«عالمة بكل شيء».

يرتقي مكون المعرفة إلى أن يصبح معياراً في التقطيع يضاف إلى المعايير الأخرى، حيث إن الجزء الأول من المحكي يخصص لتمثيل الكينونة والأفعال الفردية والاجتماعية للفواعل، في مقابل الجزء الثاني (من المحكي) الذي يقوم بتمثيل المعرفة الاجتماعية والفردية.

تقترح السيميائيات السردية، إضافة إلى المعايير السابقة، معيار التقطيع بحسب المعيار النحوي. يقدّم المحكي معياراً يتمثل في تقيّد الكاتب بالقواعد الكلاسيكية للنثر في القرن التاسع عشر، وهي

كلّاً دالاً، حيث وافقت المقاطع النصية مجموعة من المقومات الدلالية التي تنتج عن ملاحظة الفواعل في علاقتها بموضوع الرغبة، وفي علاقتها بالفعل الاجتماعي الذي تنجزه.

إن استكشاف المظهر الوصفي للنص يُبرز أيضاً أن النصّ يعدّ منظماً وفق قواعد السردية وأنها بالمعنى العام تعتبر أحد مبادئ تمفصل النصوص. رغم أن الوصف قسّم النصّ إلى لوحات، ترصد فيها عين السارد الفضاءات المتعاقبة، فإن المشهد المأساوي الذي يرمي إلى تصويره، يلزم السارد بتشخيص هذه المواجهة بين الذات الفردية والذات الجماعية.

الدراسة الأخرى التي تندرج في سياق الجانب التطبيقي تتخذ متناً لها مجموعة من الحكايات الشعبية الروسية، وينسجم هذا المنحى مع المقاربة التي نهجتها السيمياءات السردية، وترمي إلى تحليل النصوص القصيرة ونصّ الحكاية الشعبية.

يؤطر غريماس هذه التأمّلات حول الحكاية الشعبية مثل افتراضات ترمي، علمياً، إلى تحقيق هدفين:

- 1- تنمية المعرفة بالنماذج السردية.
- 2- إضاءة العلاقات التي يمكن أن توجد بين الفولكلور والميثولوجيا.

يتكون المتن الذي يعدّ موضوع هذه التأمّلات من ثلاث وثلاثين رواية من الحكاية الشعبية اللتوانية، التي لها تيمة رئيسة: مغامرات البطل الذي لا يخاف. وهي تيمة تمثل جزءاً من الحكبات والمصورات في كل أوروبا، لذلك إن الملاحظات المتصلة بالبنية السردية يمكن أن تتسم بامتدادات أكثر عمومية.

تستجلي الدراسة هذا المتن اعتماداً على المفاهيم الإجرائية التي صاغتھا السيميائيات، ومن بينها:

- البنية السردية:

يذكر غريماس في أحد مرجعيات السيميائيات، وتتمثل في عمل بروب الذي يقدم له قراءة تركيبية:

يعتبر أن من بين وسائل استكشاف مجال غير معروف هو الانطلاق من المعروف. يعتبر في سياق هذا التصور أن المعروف بشكل جيد في الحكاية الشعبية هو ما يستنتج من عمل فلاديمير بروب:

- إن خاصية «العجيب» التي تنمط الحكايات، لم توصف من لدن بروب، وهو ما يمثل نقصاً بالنسبة إلى السنن الدلالية.

- على الرغم من ذلك، فإن تحليل بروب قدّم عناصر أصيلة: التحديد الشكلي للحكاية، باستقلال عن المحتوى الخاص بها.

اختارت الدراسة الوقوف عند المقولات الدلالية الرئيسة التي تمنح إطارها الشكلي للبنية السردية، وقد صاغ هذه المقولات من خلال مجموعة ثوابت:

البطل والنظام الاجتماعي: تقوم الوضعية الأولية للحكاية الشعبية على مجموعة من الثوابت:

- نظام اجتماعي، يتمظهر بواسطة التمييز بين الفئات العمرية وينهض على الاعتراف بسلطة القدماء.

- اختلال هذا النظام.

- دور البطل الذي ينفصل عن المجتمع هو إلغاء الكراهية وإعادة التوازن للنظام الاجتماعي المختلّ.

ولكنها تتوقف أيضاً على القيم التي تسقطها الذات المسخّرة، بمعنى أن الاشتغال الملائم للتحدي يفترض الانخراط المتبادل للترهينين المسخّر والمسخّر، إنه يشتغل بصيغة ناجعة حين يكون مندرجاً داخل مرجعية من القيم الدامجة. إن التطابق بين كينونة العامل المسخّر الخاضع للتحدي، وبين التمثيل الافتراضي، لا يتحقق إلا في السياق المرجعي القيمي الذي حدّده العامل المسخّر والذي يقبل به العامل المسخّر.

عبد المجيد نوسي

الباب الأول

الأصول المعرفية لسميات السر

الفصل الأول

البنيات الأولية للدلالة

(لقاء مع ألجيرداس جوليان غريماس)⁽¹⁾

فردريك ناف: يبدو أن مشكل البنيات الأولية للدلالة يوجد، بالنسبة إليكم، في قلب النظرية السيميوطيقية. هل يمكن أن توضّحوا أسباب ذلك؟

ألجيرداس جوليان غريماس: إن التفكير حول البنيات الأولية للدلالة قد نتج، في اعتقادي، عن التقاء نوعين من الانشغالات، يبدوان متناقضين: يتمثل الأول في الجهد للحفاظ على ما أعده أساسياً في الإرث السوسيري، وأقصد بذلك المفهوم التأسيسي، الذي هو البنية، ولكن أيضاً في ضرورة التخلص من إشكالية الدليل، العائق الرئيس اليوم أمام كل تطور نظري.

فعلاً، إن «البنوية» في وضعها غير المريح في الولايات المتحدة - بشكل غير عادل - بفعل تطابق هذا المفهوم مع التوزيعية، أي مع إجراءات ذات طبيعة تصنيفية، تسمح بتقسيم المتصل الخطابي إلى وحدات مركّبة وبتحديد سُلّميتها - ولا يمثل

(1) Greimas (A. J.), « Entretien avec A. J. Greimas sur les structures élémentaires de la signification (Frédéric Nef) », op. cit., pp. 18-26.

هذا، حقيقة، سوى أحد مظاهر الفعل الإنساني - عانت أيضاً أكثر في فرنسا بسبب الاستعمال المبتذل لمفهوم بنية، الذي يستعمل ويطبّق في أي شيء، وفي أي مجموعة من التصانيف: فلا عجب أن ينتج عن هذا الاستعمال نوع من الاستفاد النظري لهذا المفهوم.

إن التصور الذي ينظر إلى لغة بصفته نسقاً من الدلائل، من جهة أخرى نعلم أن نظرية الدليل قد شكلت الحقل المغلق الذي تواجهت داخله - أثناء مرحلة ما قبل الحربين - كل المدارس اللسانية، لم يعد يمثل اليوم المجال الذي يمكن، انطلاقاً منه، أن يتأسس التفكير السيميوطيقي.

إن مستوى الدلائل يتحدد بالنسبة إلينا، أولاً، بصفته مستوى للظواهر اللغوية: إنه يخبرنا بالصيغة التي تتمظهر لنا بها الأنساق السيميوطيقية، وليس بصيغ وجودها وتنظيمها. وإذا أخذنا، بعد ذلك، بجدية تأكيد دوسوسير الذي مفاده أن الكلمات-الدلائل تُعد خالية من المعنى، وأن علائقها الاختلافية⁽¹⁾، وحدها، تُعد دالة، يجب أن نقبل بأن «السيميوطيقي» يتموضع بين الدلائل وبأنه مفترض وسابق على الدلائل.

من هنا، إن البنية، إذا حدّدناها بصفتها شبكة من العلائق المحايثة للمظهر، تصبح الفضاء الوحيد الذي يتحدد داخله التفكير حول شروط انبثاق الدلالة. ولكن، أيضاً، وفي الوقت نفسه، يصبح الجهاز الذي يسمح بإدراك الموضوعات السيميوطيقية. إن البنية

Saussure (Ferdinand de), *Cours de linguistique générale*, Payot, (1) Paris, 1972, p. 168.

سوى آلة منتقاة من محل لبيع التوابع، وإما أن البنية الأولية تُعد فضاء انبثاق المعنى، والخطاب، المنتج المتلفظ، والإسقاط الخارجي لترهين التلّفظ.

ف. ناف: هل يمكن لكم أن تحددوا ما تدينون به من جهة للاتجاه الاثنائي الفونولوجي⁽¹⁾ لمدرسة براغ، ومن جهة أخرى للأعمال المنطقية لبلاشي⁽²⁾، مع إبراز ما يميز مقاربتكم المنهجية الخاصة عن هذه الأعمال؟

أ. ج. غريماس: يجب القول إن الأفق اللّساني قد تغيّر كثيراً في فرنسا في ظرف خمس عشرة سنة، يصعب معه، بالنسبة إلى الجيل الجديد من السيميائيين، تخيل الصعوبات التي كنا نتخبط فيها، خلال هذه المرحلة، والحقول الإشكالية التي كانت في حوزتنا لكي نؤطرها ضمنها. هكذا، تتكلمون عن أعمال بلاشي، غير أن الانشغالات اللّسانية كانت في هذه المرحلة بعيدة من المشاكل التي يطرحها المنطق، ولم يحصل سوى بشكلٍ غير مباشر وجزئي - بواسطة فضول لا أربطه باللّسانيات - أن تعرفت إلى أعمال

(1) يتعلق الأمر بالاتجاه الاثنائي للبنوية الذي تقترن به أسماء باحثين أمثال تروبتسكوي وياكوبسون. وقد مكّنت مفاهيم هذا الاتجاه الفونولوجي: الخصائص القطبية للمقولة (منبور/ منخفض) أو الحضور/ الغياب، لخاصية صوتية من صياغة مفهوم رئيس في السيميوطيقا، هو مفهوم: البنيات الأولية للدلالة.

Jakobson (Roman), *Essais de linguistique générale*, Éditions de Minuit, Paris, 1963.

(2) روبر بلاشي (1898-1975): فيلسوف ومنطقي فرنسي، تناول، فلسفياً، قضايا الرياضيات والعلم والمنطق.

والتلشيّيات لديميزيل⁽¹⁾، وقد بلغ صداه إلى حدود اللّسانيّات، تحت شكل اختيار ضروري بين الثنائية الكلاسيكية للموضوع والمحمول، والبنية الثلاثية بمهيمنة فعلية، لتانيير⁽²⁾.

إن المقاربة الخاصة بي، داخل هذه الالتباسات، كانت مقارنة ممارس يبحث، وبرغبة الحفاظ على المكسب الميتودولوجي، عن التوفيق بين المتناقضات الظاهرة، بإدماج، داخل بناء موحد، مجموعة الوقائع المعروفة لدي وقتذاك، ولم تكن مقارنة منظر يفكر

- *Du miel aux cendres*, Plon, Paris, 1966

- *L'origine des manières de table*, Plon, Paris, 1968

- *L'homme nu*, Plon, Paris, 1971.

(1) جورج ديميزيل (1898-1986): نحوي مقارن، فيلولوجي. اهتم بالميثولوجيا وديانات الشعوب الهند-أوروبية.

(2) لوسيان تانيير (1893-1954): اللّساني الفرنسي، المسلّمة الأساسية التي بنى عليها تانيير دراسته في التركيب هي استقلالية هذا المكون عن المكونات الأخرى (المورفولوجي...). يقر تانيير، في سياق هذا التصور، بأسبقية الجملة عن الكلمة. يشبه الجملة بدراما صغيرة، وهو ما يفضي إلى هذا التوازي:

- الجملة/ عوامل/ فعل/ ظرف.

- الدراما/ ممثلون/ صيرورة/ المقام.

يسند تانيير موقفاً مركزياً لـ «العقدة الفعلية» (مهيمنة فعلية بحسب غريماس). ونظراً إلى أهمية العقد الفعلية، فإنه ينشر العوامل وفق أصوات حضورها، وهي:

- سمة مشاركة: تشارك العوامل، بدرجة معينة، في صيرورة الفعل.

- سمة تفارقة: تنتج عن تحليل الصيرورة، وتميّز بين: عامل ينجز الفعل (العامل الأول)، وعامل يقع عليه الفعل (العامل الثاني)، انظر:

Tesnière (Lucien), *Éléments de syntaxe structurale*, Klincksieck, Paris, 1959.

ف. ناف: في دراسة توجد ضمن هذا المؤلف الجماعي، يبين كومبي⁽¹⁾ في دراستكم «مبادئ النحو السردية»⁽²⁾، ظهور حالة ثانية للمربع، هل يمكن لكم أن تعيدوا التذكير بالطريق المؤدي من «لعبة الإكراهات السيميوطيقية»⁽³⁾ (1968) إلى «المبادئ» (1969)؟

أ. ج. غريماس: أعتقد بأن الإكراهات السيميوطيقية، وعلى الرغم من أنها كانت تحمل طابع الانشغالات التصنيفية، كانت تطرح في وقت مبكر مشاكل التنظيم السردية للخطاب. إن حلم اللساني الذي كان يبحث عن أداة تسمح له بوصف الفضاءات الدلالية التي تكسوها اللغات قد ترك المجال لمشروع أقل طموحاً، يتمثل في استيضاح الفضاءات المصغرة الخاصة التي تُعد بنيات قاعدية دامجة للعدد من المربعات وقادرة على إنتاج عدد كبير من الخطابات

(1) الدراسة التي أنجزها جورج كومبي حول إمكانية تعقيد البنية الأولية بنقلها من الاثنائية إلى الثلاثية. انظر:

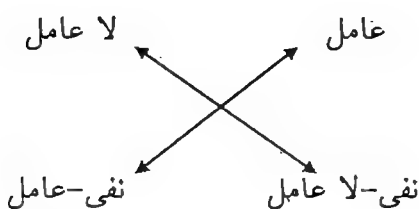
Combet (Georges), « Complexification et carré performatoire », in *Structures élémentaires de la signification*, Éditions Complexe, Bruxelles, 1976.

(2) هي الدراسة التي صدرت في كتاب غريماس: في المعنى، والتي صاغ فيها المبادئ التي يقوم عليها النحو السردية كما اقترحه. وتقدم هذه الدراسة مترجمة في هذا العمل، لأنها تبرز مستويات النحو السردية والمفاهيم الإجرائية المكونة له. انظر:

Greimas (A. J.), *Du sens. Essais sémiotiques*, Seuil, Paris, 1970, pp. 157-185.

(3) الدراسة التي صدرت أيضاً في كتاب في المعنى.

Greimas (A. J.), « Les jeux des contraintes sémiotiques », in *Du sens*, op. cit., pp. 135-157.



على المستوى العملي، من جانب آخر، تبدى لنا بسرعة بأنه إذا كان المحكي، في صورته الأكثر بساطة، يمكن أن يتطابق مع برنامج سردي، فإن حضور المعاكس يُبرز سلفاً، بصورة مجازية، برنامجاً مضاداً ضمناً ويُظهر بجلاء البنية الجدلية للسرد: هكذا يواجه عامل مضاد العامل-الذات. لا يوجد ما يثير الاندهاش حينئذٍ من كون تحليل النصوص، كيفما كان تعقيدها، يرغم على مضاعفة المواقع العاملة، وهكذا يبرز، إضافة إلى سيرورته المركبة، التمثيل الاستبدالي للسردية.

ف. ناف: إن تعقيد المربع السيميائي يصاحبه أيضاً «التربع» الذي نلاحظه على مستوى كل المستويات البنيوية للخطاب السردية. ما هي الأهمية التي تولونها لإعداد الانتقال من البنيات العميقة إلى البنيات النصية السطحية؟

أ. ج. غريماس: لا أعتقد أنه من الممكن في الوقت الراهن تصور الاقتصاد العام لنظرية الخطابات بصيغة مخالفة لما هو عليه الأمر الآن، وهو تصويره على شكل جهاز من المستويات المنتمية للمستوى العميق، تسمح بإدراج، داخل كل مستوى، مكونات جديدة دلالية-تركيبية (تمثيل مؤنسن، تزمين وتفضية، إضافة مكون التصويرية... إلخ) تقرب، تدريجياً، الخطاب من سطحه النصي. يوجد لدي انطباع أكثر من ذلك بأن جهود التحليل السيميوطيقي

البروبي⁽¹⁾، يسمح سلفاً باستشراف هذه الإمكانيات: تتعرف داخله بسهولة إلى انتقال في مستوى الفضاء، يتحدد على المستوى التصويري للعوامل (انتقالات العوامل، نقل المواضيع)، يمكن للفضاءات السردية أن تحدّد (داخل هذا المحكي) من هذا المنظور، ليس في ذاتها ولكن في علاقاتها بالعوامل، وكذلك في علاقة العوامل ببعضها البعض. إن التبادل التصويري يمكن، منذ هذا الحين، أن يُعتبر مثل نتيجة لتحويل التواصلات التي تتم وفق نظام توقعي، مواضيع القيمة التي تتحول من عامل إلى آخر، تواصلات يمكن أن نمثلها بصفاتها انفصالات واتصالات.

مسارات المواضيع هذه لا يمكن تخيلها إلا إذا قبلنا بمبدأ البنية الجدلية للخطاب السردى، بعبارة أخرى بوجود محور استبدالي يجمع، على الأقل، عاملين يتميز كل واحد منهما، على الأقل، ببرنامج سردي مواز: تتحدد مسارات مواضيع القيمة (ونعني بالقيم، على حدّ سواء، القيم الأكسيولوجية والقيم الجهية) طبعاً على مستوى هذا المحور الاستبدالي.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الآن السرد في بُعد المرّكبي، حيث يظهر كل برنامج سردي مثل صيرورة مكونة من الامتلاكات والفقد للقيم، من الإغناء والتفكير للذوات، يتبدّى لنا بأن كل خطوة نخطوها

(1) المحكي كما تصوره فلاديمير بروب كان يهدف إلى وصف نسقي للحكاية من خلال تفكيكها والبلوغ إلى مورفولوجيا الحكاية. يستخلص بروب في نهاية عمله أن الحكاية العجيبة هي التوالي المماثل والدائم لإحدى وثلاثين وظيفة. انظر:

إلى الأمام، على مستوى المحور المركبي، توافق (وتتحدّد ب) تحركاً طبولوجياً على مستوى المحور الاستبدالي.

وهكذا، إن عاملاً للبرنامج السردى يتجزء مرّكبياً، بفضل العمليات الاستبدالية، إلى متوالية من الأدوار العاملة (عامل ممكن، عامل الإرادة، عامل وفق القدرة، عامل محقق... إلخ)، أدوار تتحدّد، في الوقت نفسه، بـ «محتويات» جديدة مكتسبة، ولكن أيضاً بموقعها داخل سيرورة البرنامج. هكذا، يحدّد تنظيم المسارات الاستبدالية اتجاه المسار المرّكبي، كما أن العكس يعدّ صحيحاً أيضاً. هكذا نرى، في هذه الشروط، كيف أن التحديدات الطبولوجية يمكن، احتمالاً، أن تحلّ محلّ التحديدات «المضمونية».

وعلى الرغم من ذلك، لا يتعلق الأمر هنا إلا بتركيب يحوّل، بواسطة الانفصالات والاتصالات، ملفوظات الحالة ولا يعطي عن المحكي سوى تمثيل ثابت لمتوالية من الحالات السردية. كما هو الأمر بالنسبة إلى المربع التصنيفي الذي يجب أن يعتبر بمثابة فضاء تتم داخله العمليات المنطقية، فإن متوالات ملفوظات الحالة منظّمة ومحوّلة بواسطة ملفوظات للفعل وبواسطة عوامل محولة تنتظم داخلها.

ف. ناف: هناك من يؤاخذ، ربما بنوع من السهولة، على المربع السيمائي «طبيعته المبتذلة». ماذا تجيبون على هذا المأخذ: الابتذال الرياضي؟ ألا ترون أن أهمية المربع السيمائي تكمن في طابعه الإجرائي؟

أ. ج. غريماس: بين مأخذين متناقضين - مأخذ «الصورنة القصية» ومأخذ «الابتذال» - يعدّ السبيل الذي تنهجه السيميوطيقا،

والتميز بنزعته العلمية طبعاً، غير مريح. إذا أمكن أن نعترف أن الرياضيين كانوا على حق بخصوص وجهة نظرهم المتألفة، يمكن أن نجيب ببساطة بأن مختلف أنواع المنطق التي تبنى حالياً ليست أقل تفاهة فيما يتعلق بنياتها القاعدية. إن ما يُنقص أيضاً، حقيقةً، السيميوطيقا الخطابية هو الجزء المتعلق بـ «الحساب» الذي يمكن ويجب أن يستنبط منها. إلا أنه، وعكس اللغات الشكلية الرياضية والمنطقية، يتعلق الأمر - بالنسبة إلينا - ببناء سيميوطيقا، أي بناء نحو وعلم دلالة. لا يتعلق الأمر، إذًا، ببناء لغة شكلية مستجيبة لتماسكها الخاص بها، ولكن ببناء نحو مطابق لنوع من الواقع. إننا نخضع لعائق مزدوج، ونماذجنا يفترض فيها أنها تمثيلات لوقائع دلالية تكون متمظهرة بطريقة ما، وتبدو، لهذه الغاية، مقاومة وعنيدة. أيضاً هل نحن على اقتناع بهذه البنيات «المبتدلة» لسبب بسيط، وهي أنها تنقاد إلى المناولة، كما أنها تستطيع أن توضّح عدداً من المواضيع السيميوطيقية التي لا يزال عددها في نمو مطرد. إن السيميوطيقا، وهذا ما لا يجب أن يغيب عنا، هي أولاً، وقبل كل شيء، ممارسة.

أظُلُّ شاباً، هذا ما يسمح لي بأن أفهم، قليلاً، أحسن الصديقان⁽¹⁾ لموباسان حين تمّ نقلهما، وهما ممدّدان، إلى مكان الاختبار. بالنسبة إليّ، الاختبار الرئيس سيحدث الآن، ما دمتم ستختبرونني بأسئلتكم. يجب أن أقول إنه إلى جانب الضيق الذي يسببه وضع الجثة، أحسست بنوع من الانزعاج الثقافي، وأنا أحس بأنني أقل ذكاء من الذين سيعقبون على أعمالي. حينما يحاول أحد ما من الخارج توضيح إشاراتك اللسانية، تدرك أن فكرك يتجاوزك. إني أتساءل، إذًا، ما إذا لم يكن مفيداً أكثر التوجه إلى باري⁽²⁾ أو إلى بتيتو⁽³⁾ بدلاً مني لمعرفة ما أفكر فيه!

لقد كانت الأسئلة كثيرة، وقد قسّمتها إلى مجموعتين، مجموعة ذاتية ومجموعة موضوعية. في القسم الأول، طبعاً، سُئِلت بصفتي ذاتاً ملموسة، محققة، وفي القسم الثاني تمّ التوجه إلى خطابي أكثر مما تمّ التوجه إليّ.

في المجموعة الأولى من الأسئلة، هناك جانب من التاريخ الاستملاحي. في الواقع، لا أعرف ما هي الأهمية التي يمكن أن نوليها للحياة بصفتها ملحة، حتى إن تعلق الأمر بملح ثقافية. السؤال الأول هو لميشال أريفي⁽⁴⁾:

(1) يشير إلى قصة الصديقان لموباسان التي حللها غريماس في كتاب كامل: Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte. Exercices pratiques*, Seuil, Paris, 1976.

(2) هرمان باري (Herman Parret).

(3) جون بتيتو (Jean Petitot).

(4) ميشال أريفي (Michel Arrivé).

للغة، وبصفته عبوراً لهذه الفلسفة نحو علم اللغة. هناك شيء بدا لي دائماً خارقاً، إنها هذه المرحلة العظيمة من بداية القرن التاسع عشر، حينما كانت «الآراء» المختلفة، كما كان يقول ديكرت متحدثاً عن عصره، قد تحولت إلى فعل علمي. ماذا وقع وكيف؟ هذا مشكل، إشكال نظري محض، حاولت أن أنقله إلى السيميوطيقا: كيف نفعل من أجل أن تتقدم السيميوطيقا، من أجل أن تتطور مثل اللسانيات، التي لم تعد في حاجة اليوم إلى فلاسفة لتتطور. أتكلم عن «الفلاسفة» بالمفهوم القدحي للكلمة، فقد فهمتم قصدي، الذين ينتجون الدوكسا، وليس الفعل. لقد تأثرت، من هذا المنظور، بمجموعة من الحوادث. لقد فسّر لي لساني أميركي مرة في ندوة كيف أن النحاة الجدد للقرن التاسع عشر كانوا، في نهاية الأمر، أكثر ذكاء مما كانوا عليه في الظاهر: كل ما يقولونه يبدو تافهاً، غير أن كل ما كانوا يفعلونه كان ذكياً.

أصبحت ملزماً بالتفكير، إذًا، في وجود نوع من الإستيمية الضمنية، المختلفة كثيراً عن الآراء التي يمكن أن يعبر عنها هؤلاء النحاة.

فبمسيرة هذا المبدأ، حاولت أن أبني تاريخ اللسانيات. مثلاً، ما يقوله دوسوسير حول السيميولوجيا يعدُّ مفيداً بالتأكيد، غير أنه يدخل في باب النوادر، يتعلق الأمر بجملتين، لا يمكن أن ننهض بالسيميولوجيا بهذا، كما لا يمكن أن نعتمد عليها في السيميوطيقا أيضاً. إن ما يعدُّ أساسياً في مشروع دوسوسير هو عمله: المبحث⁽¹⁾،

مثلاً، ولكنه نوع من البريكولوج، هذا ما يسمح بوضع الأشياء في محلها المناسب لتكون الرؤية أكثر وضوحاً، على أن هذا ليس هو المهم. إن ما يعدّ جوهرياً هو المقاربة العلمية، هو القدرة على إنتاج نموذج لا يكون تعميماً بالمعنى القدحي للكلمة، ولكنه يحلّل اللغة أخذاً بعين الاعتبار ملائمة المستويات. أعتقد بالفعل أن المستويات هي التي تضمن شروط العلمية، شروط إبداع معرفة مؤكدة: هناك، أولاً، أولوية ملائمة المستويات، ولاحقاً، بناء النماذج داخل هذه «الحلوى المورقة» التي ينطبق عليها، تماماً، مبدأ الجزء من أجل الكل.

الآن، سأتناول سؤال موريـزو دل نينو⁽¹⁾ الذي يتمحور حول دور بروب وليفي ستروس في سيرورة البناء النظري.

بالنسبة إلى هذا الموضوع تُعد الأمور معروفة جداً. ما هي أوليات إسهام بروب وليفي ستروس؟ يجب أن نلاحظ، بادئ ذي بدء، أن إخبارنا بوجود ترجمة إنجليزية لمورفولوجيا بروب من لدن ليفي ستروس، جعله يمثل مصدر تفكيرنا حول السردية. أحيل هنا، طبعاً، على النقد الذي أنجزه ليفي ستروس حول المورفولوجيا في

(1) موريـزو دل نينو (Maurizio Del Ninno).

يتعلق الأمر هنا بكتاب فلاديمير بروب: مورفولوجيا الحكاية، حلّل فيه بروب الحكاية الشعبية الروسية. ومن خلال مقارنة مورفولوجية، حدّد ثوابت الحكاية، وهي الوظائف. شكلت هذه الدراسات عنصراً من عناصر الإبدال العلمي للسميات السردية.

Propp (Vladimir), *Morphologie du conte*, op. cit.

للبحث عن المعنى، البنية الأولية للدلالة وتمثيلها على شكل مربع. إن تمفصل هذا الفضاء هو المشكل الذي أقلقني أكثر خلال العشرين سنة الأخيرة. اقترحت، على الأقل، أربع صياغات متتالية لتحديدات المربع. زد على ذلك، إن هذا المربع ليس من اختراعي، ولكن من اختراع شابرول⁽¹⁾.

إلى حدّ الآن، لا أعرف ماذا أفعل بـ«المربع»، كان الأمر مثل النشر بالنسبة إلى البورجوازي النبيل! بعض عناصر التفكير أتنني من التقليد اللساني، هذا التقليد الذي يعدّ نتيجة لقرن ونصف من العمل، نهلت منه لأجد فيه من جديد علائق التناقض والتضاد، نمطين من العلاقات الأساسية. هذا كل ما تمكنت اللسانيات من اكتشافه وممارسته لمدة قرن ونصف.

أما فيما يخص الصياغة الأخيرة لأساسيات المربع، فإنها، بالأحرى، من نمط فلسفي وتتقاطع مع مشكل الحكم (Jugement). الحكم السيميوطيقي، وأساساً الحكم الإبستيمي، نؤطره داخل مجال الجزاء، وهو ما يفترض مرسلاً، فاعلاً إبستيمياً يُنجز حكماً وقضية، ليست فقط بمعنى القول، ولكن أيضاً بمعنى شيء نقترحه، نعرضه للحكم. فعل الحكم هذا الذي ينصبّ على ملفوظ سبق وأن تمّت صياغته جهياً، يتعلق باختيار جهات، ولكنه يفرض، أيضاً، الذات التي تضطلع بالحكم، التي يجب أن تكون قادرة جهياً. استطاعته هي ضرورة، استطاعة قدرة وإرادة، وهذا يشكل وحدة عاملية جدّ قوية.

Chabrol (Claude), « Structures intellectuelles », in *Information sur les sciences sociales*, VI, 5, 1967.

منطقياً، وفي هذه الحالة إن الحالات تحدّد بشكلٍ فقير، إنه مشكل
توبولوجيا نحوية. الاختيار الذي قمت به كان هو اختيار تقديم
التحول بصفته حكماً، بصفته فعلاً خالصاً.

هذا ما يسمح بالتمييز بين شيئين: الفعل بصفته تحولاً،
والاتصال بصفته وظيفة مكونة للحالات، بمعنى أننا نقابل بين الفعل
والكينونة. لا تنسوا أن الاتصالات والتحويلات هي العلائق التي
نحن في حاجة إليها على مستوى معيّن من العمق لبناء التركيب.

أنتقل إلى جون بتيو: «كيف ترون نقد بول ريكور⁽¹⁾ الذي أثار
الانتباه إلى التركيب المنطقية-التطبيقية للتركيب الذي أنجزتموه؟
التحويل يحول مركباً العمليات المنطقية العميقة (من المفترض
أنها مساوية لتمفصل المورفولوجيا التصنيفية) إلى فعل تركيب
مؤنس للمحكي؟». على المستوى العميق، لدينا مفهوم التحويل
الذي يستوضح كل فعل وكل تغيير. على مستوى أكثر سطحية،
التحول ينتقل إلى فعل، والفعل يعدّ شيئاً آخر: لا يعدّ حكماً
خالصاً، ولكن يعدّ علاقة تعدية بين الذات والموضوع. مفهوم
التعدية يجعلنا في حاجة إلى تحويل، نتصوره مثل زيادة في المعنى
وإعادة صياغة التركيب، على مستوى آخر. التعدية هي مفهوم جدّ
مهم مهما كانت التسمية التي نعطيها إياه، مقصدية، توجيه
منطقي... إلخ. إنه شرط تأسيس العلائق بين الذات والمحمول:

Ricœur (Paul), « La grammaire narrative de Greimas », in *Actes Sémiotiques-Documents*, II, 15, 1980.

في العمق، الثقافة السامية. هناك تعميم أكيد لهذه المفاهيم، غير أنني لست مستعداً للذهاب بعيداً في هذا الموضوع. على كل حال، أيها السادة، لنحتفظ بانتباهنا! هناك شيء بخصوص هذا الموضوع، يعدُّ مهماً جداً. هذه المفاهيم يمكن، تأكيداً، أن تنظَّم بصيغة أخرى، غير أن هذا لا ينقص من أنها تكون مستوى الكليات التصويرية، وأنها «ترمز إلى شيء ما». هناك أبحاث أخرى تفرض نفسها في هذا المجال.

استأنف قراءة السؤال: «هكذا تؤكدون، في المقال «الميثولوجي»، بأن الثنائية عملي/ميثولوجي، لم تعد إجرائية. هل هو دائماً موقفك اليوم؟» إنني أقرأه في المعجم بطبيعة الحال. في كتاب علم الدلالة البنيوي⁽¹⁾، استعملت هذا التقابل عملي/ميثولوجي حينما كتبت أن «المستوى العملي يتطابق مع المستوى التصويري للخطاب، في حين أن المستوى الميثولوجي يوافق، في المسار التوليدي، للتنظيمات السيميائية العميقة». لم يكن ذلك واضحاً، كنت أريد أن أقول إن المستوى التصويري يجب أن يكون مكوناً للمرجعيات الداخلية. بمعنى أنه يعمل داخل الخطاب على خلق الإيهام بالمواقع. إذا قمنا بحل مشكل المرجع، دون أن نتوجه إلى المرجع الخارجي، وإذا اعتبرنا هذا النوع من المرجعية مثل سيميائية مشتركة، فلأن الخطاب نفسه يمتلك مرجعه الداخلي

(1) أهم عمل صدر به غريماس نظريته في السيميوطيقا. صاغ فيه أهم الأسس والمفاهيم مثل البنية الأولية للدلالة، العوامل، المقومات. انظر:

Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, op. cit.

بصفته خطاباً واضحاً جداً وغير دال وخالياً من المعنى، أن يبنى على مستوى معيّن من العمق بصفته نسقاً من العلائق إذا اعتبرنا العناصر مثل تصورات مجردة. إنها تفترض وجود مستوى تصويري عميق، غير أنها يجب أن تفرغ داخل المكون الخطابى.

إن فائدة الدرس لهذه السنة، بالتدقيق، كانت هي تحديد أن التصويرى، بصفته دلاليّاً، ينقسم إلى عدّة مستويات من العمق. ولكن ما يعدُّ أكثر أهمية أيضاً - إنني أنتقل من اكتشافات إلى اكتشافات أخرى - هو أن التحليل التصويرى، بخاصة على مستوى التشكيل المجرد، قد أبرز جيداً وجود بنيات قرنا الاصطلاح عليها، صعبة فلوش، «البنيات الشعرية». إن الشعرية داخل مجال التشكيل، توافق، بصفة عامة، التحديد القديم للشعر: هناك انصهار مستويين: مستوى الدال ومستوى المدلول. بتحليلنا للتشكيل المجرد ودونما بحث، استطعنا أن نحدد التشكيلية، وهو ما يسمح بتحليل سيميوطيقى للفرنّ المجرد. إن التعالق بين مستوى العبارة ومستوى المحتوى، كما أبرزه كوكي في دراسته حول أبولينر⁽¹⁾، قد تبدّى من جديد بوضوح. هذا الاكتشاف كان مفيداً لأنه كان ممكناً منذ الآن تسميته «الشعرية» بصفته شيئاً غير خاص بالشعر لكنها تحضر في عدد من السيميوطيقات، مع البقاء، دائماً، مخصصة بواسطة البنية شبه الرمزية للغة المستعملة، إن هذا شبه الرمزي هو الذي يبدو أنه يبدع «الشعرية». هذا الاكتشاف كان من بين أهم الاكتشافات

Coquet (Jean-Claude), « Sémantique du discours poétique : « les colchiques » de Guillaume Apollinaire », in *Sémiotique littéraire*, Mame, Tours, 1973, pp. 115-130.

من حيث الوجود، سابقة على العمليات التركيبية. هذا هو الاتجاه الذي يريد بتيتو أن يدفع بنا قدماً إليه: البنية الممثلة بواسطة المربع، بصفته صنافة، يمكن أن تصبح بنية دلالية ما دام هناك استثمار في حدّه الأدنى.

السؤال الثالث لبِتيتو: «هل ترون، بعيداً من الوصف، أن الهدف من نظرية ما، يكون، كما يؤكد ذلك توم، هو اختزال اعتبارية عمليات الوصف، بمعنى إظهار الضرورة في المعطى التجريبي؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، هل ترون أننا نستطيع تجنّب الصياغة الرياضية؟».

بداهة، يمكن أن نتكلم بشكلٍ عقلاني عن اعتبارية الوصف، على الأقل لأننا ملزمين بإدماج إمكانية القراءات، ليست القراءات المتعددة، ولكن قراءات عديدة لخطاب. المشكل المطروح هو مشكل الوصف بصفة عامة. هكذا، إن العديد من عمليات الوصف يمكن أن تكون ناجعة؛ بالنسبة إلى كل واحدة من هذه العمليات، يجب القدرة على تقييم درجة ملاءمتها. الحقيقة أننا بحضور العديد من عمليات الوصف، نستطيع أن نطرح سؤال معرفة ما إذا كنا نستطيع اختزال اعتبارية التشاكلات. لا يمكن أن أقدم سوى جواب تجريبي وليس جواباً نظرياً. بطبيعة الحال، كل محاولة اختزال تسمح بتأطير النظرية في طابعها الواجب - كما أنه متعلق بالضرورة - تغريبي، تحمسيني! غير أن المتشكك الشيخ، الذي هو أنا، يتمالك نفسه لأننا تعلمنا أن نحذر الحقيقة. في المعنى نفسه الذي نستطيع فيه أن نتكلم عن الكون السيميوطريقي، أوافق على أن هناك واقعاً رياضياً وأن المثلث هو شيء جدّي. هو أكثر جدية من الشكل

الدائري للخبز المتوسطي الذي يتأطر، مع ذلك، داخل مدة زمنية أطول من البنيات الاقتصادية، بنيات الفيوالية أو بنيات الرأسمالية! ما هو المشكل المطروح؟ إنه مشكل كليات التاريخ. هل يمكن أن نتجنب الصياغة الرياضية؟ أقول «لا» بصفتها قاعدة ممكنة، مثل إجراء نحو «لا قدرة-لا كينونة»، نحو الضرورة التي يتم اعتبارها بصفتها جهة «القدرة على الكينونة» (وليس «واجب الكينونة» الذي يصبح جهة ذاتية). على الرغم من ذلك، أعتقد أنه يجب تقسيم المهام. مهما كانت الانشغالات النظرية، فإن التطبيق السيميوطقي يجب أن يستمر في التقدم. سيكون من الخطأ اعتبار أن الصياغة الرياضية للسيميوطيقا تمثل المهمة التطبيقية الأولى. إذا كانت لدينا «ماشينيتا: آلة»، كما يقول الإيطاليون، تشتغل، يجب استعمالها وتحسينها وإتقانها: إنها واحدة من بين مهامنا الأساسية، مهمة أخرى، ترمي إلى ضمان أساسيات صلبة.

أصل إلى سؤال باري حول مفهوم «العقلنة المركّبة»: «هل هي مختلفة عن المفهوم القديم للتركيب السردى؟ ماذا يضيف بالتدقيق مفهوم العقلنة؟ كيف يمكن إنجاز، بطريقة ملائمة ومتماسكة، مفهوم للعقلنة من دون استدعاء، في الوقت نفسه، البرهنة المرجعية ومن دون استدعاء المجموعة المبرهنة؟».

إنه سؤال صعب لأنني ما زلت في بداية تفكيري حول الأشكال المختلفة للعقلنة. لقد كان اهتمامي كبيراً بمؤلف جون بيير فرنان

أن مفهوم التشاكل هو الذي يسمح بالتقدم شيئاً ما، نرى ذلك جيداً في نصوص الاستجابات غير التوجيهية، مثلاً، حينما نريد تحليلها دلاليّاً بأن هناك تشاكلات، متداخلة، تبدأ بتيمازية معيّنة، ثم يحدث إدراج لتيمازية أخرى، ثم نعود، بعد ذلك، إلى الأولى... إلخ. نتيجة لهذا، إن الانغلاق يجب أن يعتبر مثل انغلاق لكلّ دال، وذلك باستبعاد، مع احتمال تحليلها بشكل منفصل، التشاكلات التي ليست من السياق نفسه.

أخيراً، مشكل الانغلاق يطرح حينما نتساءل عن العناصر المحددة للانغلاق. حينما يتعلق الأمر بالصنافة، فإن المشكل دلالي، هذا واضح؛ لكن حينما نكون في مواجهة الخطاب؟ هل البنيات السردية هي التي تكون معايير الانغلاق؟

يمكن أن نقول، فعلاً، إن المستوى السردى الذي يعدّ أكثر عمقاً من المستوى الخطابى، يعدّ ضمناً داخل كل خطاب. إنه هو الذي يعطي، إذًا، إطار الانغلاق الذي يسمح بتحديد أين هي البداية وأين هي النهاية. نباشر الموضوع دائماً بطريقة تجريبية، كما فعلتُ ذلك أنا بنفسى بالنسبة إلى موباسان⁽¹⁾ انطلاقاً من تقطيع سطح النصّ، وفق المعايير الزمنية، المنطقية... إلخ. إنها انغلاقات. ولكننا نحصل على نتيجة مذهلة (بل نستطيع صياغتها مثل قاعدة إجرائية): بمجرد ما ينجز التحليل، يتبيّن أن تحديد المستوى

(1) يتعلق الأمر بالدراسة التي أنجزها غريماس حول قصة الصديقان لموباسان، حيث باشر تحليل هذه القصة اعتماداً على معايير زمنية ومكانية ومنطقية. انظر:

Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte*, op. cit., p. 19.

الباب الثاني

الأسس النظرية لسميات السرد

الفصل الأول:

مبادئ النحو السردى(*)

1. السردية والنظرية السيميوطيقية:

1-1: رؤية تاريخية.

إن الاهتمام المتزايد، بقوة، منذ بضع سنوات بالدراسات حول السردية، يجب أن نضعه بالتوازي مع مطامح ومشاريع سيميوطيقا عامة، وهي مطامح ومشاريع تتحدد شيئا فشيئا كل يوم. في وقت أول، سمحت مقارنة نتائج أبحاث مستقلة - أبحاث فلاديمير بروب حول الفولكلور، أبحاث كلود ليفي ستروس حول بنية الأسطورة، أبحاث إتيان سوريو حول المسرح⁽¹⁾ - بالتأكيد على وجود مجال دراسات مستقل. وقد عملت تعميقات ميتودولوجية جديدة - أعمال كلود بريمون التي أولت السرد في أفق صياغة منطق «للقرارات»، أو

(*) صدرت هذه الدراسة في كتاب: في المعنى؛ الصادر سنة 1970. انظر: Greimas (A. J.), « Éléments d'une grammaire narrative », in *Du sens*, op. cit., pp. 157-183.

(1) يتعلق الأمر بـ «الوظائف» التي صاغها إتيان سوريو في حقل الدراما، وقد حصرها في ست وظائف. انظر:

Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, op. cit., p. 175.

أعمال ألان ديندس⁽¹⁾ التي رمت إلى إعطاء تنظيم المحكي شكل نحو سردي - على تنوع المقاربات النظرية. وقد كان همّنا الخاص خلال هذا الوقت هو تعميم، قدر الإمكان، حقل تطبيق التحليل السردي، وصورته أكثر فأكثر النماذج الجزئية التي ظهرت أثناء إنجاز الأبحاث: وقد بدا لنا مهماً التركيز على الطابع السيميائي-اللّساني للمقولات المستعملة في إنجاز هذه النماذج، مثل ضمانة لكونيتها ووسيلة لإدماج البنيات السردية داخل نظرية سيميوطيقية معمّمة.

1-2: السردية وتمظهرها.

إن الإغناء الميتودولوجي للتحليل السردي وإمكانية تطبيقه داخل مجالات غير مجالات الفولكلور أو الميثولوجيا، كانت لها نتائج إظهار مشاكل جمة أفضت إلى وضع التصورات الأكثر قبولاً، عامة، في اللّسانيات موضع نقاش.

كان يجب، أولاً، قبول كون البنيات السردية يمكن أن تعرف حتى خارج تمظهرات المعنى التي تنجز من خلال اللّغات الطبيعية: في اللّغات السينمائية والحلمية، وفي الرسم التصويري... إلخ. غير أن هذا يعود إلى الإدراك والقبول بضرورة التمييز الأساسي بين مستويين للتمثيل والتحليل: مستوى ظاهر للسرد، حيث تكون مختلف تمظهراته خاضعة للمتطلبات الخاصة للمواد اللّغوية التي تتمظهر عبرها، ومستوى محايث يشكل نوعاً من الجذع البنيوي المشترك، تكون فيه السردية محدّدة ومنظّمة سلفاً قبل تمظهرها.

(1) ألان ديندس (1934-2005): عالم الفولكلور الأميركي في جامعة كاليفورنيا. كان يريد أن يرقى بدراسة الفولكلور إلى الدراسة الأكاديمية.

فالمستوى السيميوطيقي المشترك يعدُّ، إذًا، مغايراً للمستوى اللّساني، ويعدُّ منطقياً سابقاً عليه كيفما كانت اللغة المختارة للتمظهر.

من جانب آخر، إذا كانت البنيات السردية تُعد سابقة على تمظهرها، فإنّ التّمظهر ل يتم يجب أن يستعمل وحدات لغوية تكون أبعادها أكثر توسعاً مقارنة مع أبعاد الملفوظات: وحدات يمكن أن تكون «منظومة مركبية كبيرة» بحسب عبارة كريستيان ميتز وهو يتكلم عن سيميوطيقا السينما. فالبنيات السردية تقابلها، إذًا، على مستوى التّمظهر البنيات اللّسانية للمحكى؛ والتحليل السردى له ما يلازمه وهو تحليل الخطاب.

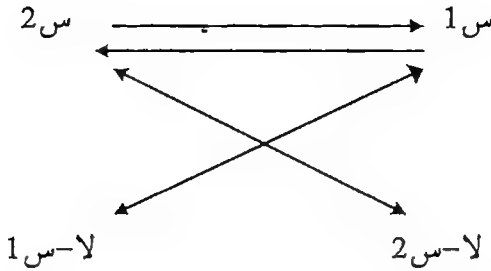
1-3: السردية والسيميوطيقا.

إننا نرى ذلك إذًا؛ مهما كانت درجة قبولنا أن الدلالة لا تعير بالغ اهتمام لصيغ تمظهرها، فإننا نكون ملزمين بالإقرار بوجود مستوى بنيوي مستقل، مثل فضاء لتنظيم حقول واسعة للدلالة، يجب أن يكون مندمجاً داخل كل نظرية سيميوطيقية عامة، في نطاق أن تهدف هذه الأخيرة إلى استيضاح تمفصل وتمظهر الفضاء الدلالي بصفته كلية من المعنى بطبيعة ثقافية أو شخصية. نتيجة لذلك، إن الاقتصاد العام لهذه النظرية يصبح عرضة للتشويش: إذا كنا، آنفًا، نستطيع أن نعتبر أن المشروع اللّساني يرمي إلى وضع آلية ذات طبيعة تأليفية أو توليدية تضطلع بوظيفة، انطلاقاً من عناصر بسيطة وأنوية أصلية، إنتاج عددٍ لا متناهٍ من الملفوظات، هذه الملفوظات بدورها تتحول، تتألف لتنشئ متواليات الملفوظات باعتبارها خطاباً. يجب

فضاء واسع يجب أن يرتب لتأسيس مستوى وسيطي تتأطر ضمنه بنيات سيميوطيقية تمتلك نظاماً مستقلاً، من بينها البنيات السردية. فضاءات تتحقق داخلها تمفصلات تكاملية من المحتويات ونوع من النحو، عام وعميق في الوقت نفسه، ويتحكم في تحديد الخطابات المتمفصلة. إن المشروع البنيوي المتعلق بهذا المستوى الوسيطي يعدُّ، إذًا، مزدوجاً؛ يتعلق الأمر، من جهة، بالشروع في بناء نماذج تمفصل المحتويات، كما هي متخيلة على هذا المستوى من مسار المعنى؛ كما يتعلق الأمر، من جهة أخرى، بوضع النماذج الصورية القادرة على مناولة هذه المحتويات وتنظيمها بشكل تكون به قادرة على التحكم في إنتاج وتقطيع الخطابات، وتنظم بشروط معينة تظهر السردية. وبعبارة أخرى، إن النظرية السيميوطيقية لن تصبح مقنعة إلا إذا عرفت أن تنظم داخل مجالها موقعاً لعلم دلالة ونحو عميقين.

1-5: من أجل علم دلالة عميق.

مشروع علم دلالة عميق، مغاير لعلم دلالة للتمظهر اللغوي، لا يمكن إلا أن يستند على نظرية للمعنى. إنه مقترن، إذًا، مباشرة بتوضيح شروط فهم المعنى وبالبنية الأولية للدلالة التي يمكن أن تستنبط منه، والتي تقدّم بعد ذلك بصفاتها مسلّمة. هذه البنية الأولية، المحللة والموصوفة مسبقاً، يجب أن تفهم بصفاتها نمواً منطقياً لمقولة مقوماتية اثنائية من نوع أبيض/أسود، تكون عناصرها، فيما بينها، في علاقة تضاد، وكل واحد يكون قادراً على إسقاط عنصر جديد يكون مناقضاً له، تستطيع العناصر المتناقضة، بدورها، أن تدخل في علاقة اقتضاء متبادل تجاه العنصر المضاد المقابل.



حيث :

← يخصص الاقتضاء المتبادل .

↔ يخصص التناقض .

إن الافتراض التالي يقضي بأن هذه البنية الأولية للدلالة تقدّم نموذجاً سيميوطيقياً ملائماً لوصف التمفصلات الأولى للمعنى داخل فضاء دلالي مصغّر.

هناك تدقيق يفرض نفسه هنا، ويخصّ تصورنا للفضاء الدلالي . في وقت أولي (انظر كتابنا : علم الدلالة البنيوي) اقترحنا اعتباره بمثابة كلية لـ «المادة الدلالية» مدعوة للدلالة فقط بواسطة شبكة التمفصلات التي تغطيها : المعنى ، لا يدرك إلا إذا كان متمفصلاً . إن تمفصلات المعنى هذه يمكن أن تفسر ، كما كنا نفكر ، مثل نتيجة لتوليف محقق انطلاقاً من جرد محدود من المقولات المقوماتية . خطوة أخرى إلى الإمام يمكن القيام بها اليوم ، تقترح تمثيلاً أكثر دقة بعض الشيء لهذا الغطاء من التمفصلات . نتخيل ، بطبيعة الحال ، أن كل مقولة مكونة للتوليف - يمكن ، كما رأينا ذلك ، في كل لحظة أن تتطور إلى بنية أولية - تُعد قابلة للتحويل إلى نموذج سيميوطيقي تكويني - إذا كانت تابعة لمقولات أخرى من الجرد نفسه تصلح أن

بتوضيح الاستيعاب اللازمي للدلالة لكل المحكيات الممكنة المرتبطة بفضاء دلالي مصغر معيّن. إنه نموذج صوري لا يعمل إلا على تفصل المحتويات المستثمرة. زيادة على ذلك، يعدّ مستقلاً عن صيغة مظهره: فالخطاب الذي يمثّله يمكن أن يكون محكياً أسطورياً، ولكن أيضاً الخطاب الديدانتيكي لفرويد يمكن أن يكون حاضراً على شكل ذائع في عدد لا يحصى من الخطابات الأنثروبولوجية أو التحليل النفسية. بتعبير آخر، إنه هذا المستوى التصنيفي الأول الذي يمكن انطلاقاً منه أن تتمفصل وتتمظهر، بصيغة ثانية: أنساق القيم أو الأنساق الجمالية، صيرورة إبداع القيم المتواترة أو الأيديولوجيات.

2-2: تسريد النواة التصنيفية.

نرى أن النموذج التصنيفي، بفعل ثبات العلاقات التي تحدّد عناصره البنيوية، يمكن أن يعتبر مثل النواة الأولى لمورفولوجيا أولية. على الرغم من ذلك، إن بحث شروط فهم المعنى تبرز جيداً بأنه إذا كانت الدلالة، في الوقت الذي نبحت فيه لإيجادها في الموضوع، تظهر مثل تمفصل العلاقات العميقة الثانية، فإنها تُعد في الوقت نفسه قابلة لتمثيل دينامي حينما نعتبرها مثل استيعاب أو مثل إنتاج للمعنى بواسطة الذات. حينما نأخذ بعين الاعتبار هذا المظهر الدينامي، يمكن أن نؤسس شبكة من التوازيات بين العلاقات العميقة المؤسسة للنموذج التصنيفي وإسقاط العلاقات نفسها، أو العمليات التي تجري هذه المرة على عناصر محددة سلفاً للمورفولوجيا الأولية نفسها، عمليات تشكل في تنظيمها التركيب. هكذا إن التناقض

بصفته علاقة يعمل ، على مستوى التصنيف ، على تأسيس الخطاطات الاثنائية ؛ وبصفته علاقة تناقض ، يعمل على المستوى التركيبى على نفي أحد عناصر الخطاطة وتأكيد العنصر المناقض له في الوقت نفسه . إن هذه العملية حينما تجري على عناصر مستثمرة قيمياً ، تكون لها نتيجة تغيير المحتويات بنفي المحتويات المحددة والموضوعة وبإبراز ، مكانها ، محتويات جديدة مثبتة .

يمكن ، نتيجة لما سبق ، أن نضع حجرة أساس أولى ، مؤقتة ، لتركيب عميق ، وذلك بأن نقول إنه يهدف إلى خلخلة النموذج التصنيفى بتحويلات للمحتويات المستثمرة في العناصر التصنيفية التي تجري عليها عملياتها .

ملاحظة : رأينا أن الفهم اللازمى للأسطورة يعدُّ ترهيناً غير قارٍّ ، وأن بنيتها «الدوغمائية» تُعد قابلة في كل لحظة لأن تتطور إلى محكي . إن الدراسات التي أُنجِزت حول بعض الأنواع الصغيرة (الأمثال ، عناوين المختلفات . . . إلخ) التي تبدو لأول نظرة تمظهرات سوسيوثقافية خالصة ، تُبرز على العكس من ذلك لا استقراريتها القوية ونزعة معلنة إلى التسريد .

2-3: توجيه العمليات التركيبية .

إن تمثيل التركيب مثل متوالية للعمليات المنجزة حول العناصر المحددة لبُنية تصنيفية ، يسمح باستخلاص ، بسهولة كبيرة ، خاصية جديدة : العمليات التركيبية تُعد موجهة .

هكذا في إطار خطاطة تصنيفية واحدة ، يمكن أن نتوقع عمليتين تركيبتين وتحويلين ممكنين للمحتوى :

س1 ← لا-س1

لا-س1 ← س2.

كما أن النموذج التصنيفي يتكون، من جهة أخرى، من خطاطيتين، فإن مسألة الأولوية المنطقية للعمليات التركيبية لا يمكن إلا أن تطرح. العمليات الموجهة يمكن أن تبدأ:

إما بالخطاطة الأولى: س1 ← لا-س1 أو لا-س1 ← س1

ولما بالخطاطة الثانية: س2 ← لا-س2 أو لا-س2 ← س2

وهو ما يعطي، كما نرى، تأليفاً أولياً من العمليات التركيبية: وفي النهاية، إن معرفة الخصائص العلائقية للبنية الأولية - التي هي في الوقت نفسه خصائص العمليات التركيبية - تحدّد هذا العنصر:

عملية التناقض التي، بنفيها، مثلاً العنصر س1، تضع في الوقت نفسه العنصر لا-س1 كما يجب أن تكون متبوعة بعملية جديدة هي عملية الاقتضاء التي تُظهر وتفضي إلى الاتصال بين لا-س1 والعنصر الجديد س2. وهكذا، إن العمليات التركيبية لا تُعد موجهة وحسب، ولكنها منظّمة وفق مجموعات منطقية.

2-4: خصائص النحو العميق.

إن الخصائص التي أوضحناها، والتي تُعد قابلة لأن تكون قاعدة لإنجاز نحو عميق، يمكن أن تلخّص هكذا:

1. يتكون النحو السردى من مورفولوجيا أولية مقدمة بواسطة

النموذج التصنيفي، ومن تركيب عميق يشتغل حول العناصر التصنيفية المحددة سلفاً.

2. يركز التركيب السردى على عمليات منجزة حول العناصر القابلة لأن تستثمر من خلال قيم محتوى، ونتيجة لهذا تحولها وتناولها بنفيها وتأكيدا، أو، وهو الأمر نفسه، تؤدي إلى انفصالها واتصالها.

3. العمليات التركيبية، المحددة داخل الإطار التصنيفي المنجز، تُعد موجهة، ونتيجة لذلك، تُعد متوقعة وقابلة للحساب.

4. هذه العمليات تُعد، زيادة على ذلك، منظّمة وفق مجموعات وتكون صيرورات قابلة لأن تقطع إلى وحدات تركيبية إجرائية.

هذه التحديدات في حدّها الأدنى تُعد شرطاً لنحو عميق، ورغم أنها غير مكتملة، فإنها تسمح بتناول المشاكل المتعلقة ببناء نحو سردي سطحي.

3. مبادئ النحو السردى السطحي:

3-1: مشكل مستويات النحو.

بامتلاك نحو عميق، يصبح ممكناً تصور مستويات نحو أكثر «عمقاً» تعمل، بتخصيص أكثر للمقولات المستعملة أو بتسجيلها بطريقة أكثر تعقيداً، على الاقتراب تدريجياً من النحو، كما يتمظهر، مثلاً، في اللغات الطبيعية. هكذا، وبالتبسيط أكثر، يمكن أن نقول إن النحو العميق الذي يتميز بطابع مفهومي، ليتمكن من أن ينتج محكيات متمظهرة على شكل تصويري (حيث نجد فواعل بشرية أو مشخصة

تنجز مجموعة مهام وتخضع لاختبارات، وتبلغ أهدافاً)، يجب أولاً أن يحصل، على مستوى سيميوطيقي وسيطي، على تمثيل مؤنس لكن غير تصويري. إن هذا المستوى المؤنس هو الذي نصطلح عليه بالنحو السردى السطحي، مع التدقيق بأن صفة «سطحي» التي لا تحمل دلالة قدحية تدلّ فقط على أن الأمر يتعلق بمستوى سيميوطيقي، تسمح تحديداته وقواعده النحوية، بمساعدة تحويل أخير، بالانتقال مباشرة إلى الخطابات وإلى الملفوظات اللغوية.

إن مفهوم المستوى النحوي يتطلب أن يحدّد أولاً. إذا قلنا إن نحواً يمكن أن يبنى على مستويين مختلفين، هذا يعني أنه من الممكن بناء لغتين واصفتين مختلفتين تستوضحان ظاهرة لغوية وحيدة وموحدة، محدّدة على مستوى ثالث، هو مستوى التمظهر في الحالة التي نعالجها. نقول أيضاً إن هاتين اللغتين الواصفتين متساويتان، لأنهما متشاكلتان، إلا أنهما غير متماثلتين، مؤشّرتين بهذا إلى أن مقطعاً محدداً من لغة واصفة يمكن أن يحول داخل مقطع متشاكل للغة أخرى، دون أن تكون العناصر المكونة للمقطعين، رغم ذلك، متطابقة شكلياً.

إن المقولات المكونة لهذا النحو السطحي تتميز، كما يمكن أن نقول، بصفتها المؤنسة عن الصفة المنطقية الخاصة بمقولات النحو العميق.

3-2: الملفوظات السردية.

3-2-1: الفعل المؤنس.

إذا كان، نتيجة لما سبق، مفهوم العملية التركيبية هو أحد

المفاهيم القاعدية للنحو العميق، فإنه يوافق، على المستوى السطحي، الفعل التركيبي.

إن إقامة التساوي بين العملية والفعل يمثل فعلياً الإدماج، داخل النحو، للبُعد المؤنسن. يمكن لهذا الفعل أن يؤوّل بطرائق مختلفة.

في الوقت الذي يمكن أن تدرك فيه عملية منطقية مثل صيرورة ميتالغوية مستقلة، تسمح بوضع الفاعل في العملية بين قوسين (أو استعمال فاعل إجرائي «معين»)، فإن الفعل، سواء أكان عملياً أم أسطورياً، يتضمن بصفته فعلاً فاعلاً إنسانياً (أو على الأقل مؤنسناً، مثل: «يكتبُ القلمُ»). بتعبير آخر، يعدُّ الفعل عملية يتم تخصيصها بإضافة المقوم: «إنساني».

حينما نتحدث عن الفعل، فإنه من الواضح أننا لا نفكر في الفعل «الواقعي» المحدّد على مستوى سيميوطيقا العالم الطبيعي، ولكننا نفكر في «الفعل اللّغوي» (كيفما كانت اللّغة، طبيعية أم غير طبيعية، التي يتمظهر داخلها)، في الفعل المحول إلى رسالة. سواء تعلق الأمر في علاقته بالنسق السيميوطيقي المرجعي، بفعل منجز أو بفعل متلفظ به، فإن نظامه بصفته فعلاً ميتاسيميوطيقياً (لأنه موصوف) يجعل منه إرسالية-موضوع محدّدة داخل سيرورة التواصل التي تتضمن مراسلاً ومرسلاً إليه. الفعل هو، إذًا، عملية مؤنسة بشكل مزدوج: بصفتها فعلاً تقتضي فاعلاً؛ وبصفتها إرسالية، فإنها تُعد متّسمة بالموضوعية، وتتضمن محور البثّ بين المرسل والمرسل إليه.

3-2-2: الملفوظ السردى البسيط.

يمكن أن يتحدد التحويل - الانتقال من مستوى نحوي إلى آخر

- مثل تساوي بين العملية والفعل ، وذلك بأن تُعطي لتضمينات مفهوم الفعل شكلَ ملفوظٍ سرديٍّ بسيطٍ .

م س : ف (عا) .

يكون فيه الفعل ، بصفته صيرورة للترهين ، مصطلحاً عليه بالوظيفة (ف) وفاعل الفعل ، بصفته إمكانية للصيرورة ، يصطلح عليه بالعامل (عا) . نقول ، إذًا ، إن كل عملية للنحو العميق يمكن أن تحوّل إلى ملفوظ سردي تكون صورته المعيارية البسيطة هي ف (عا) . يبقى مع ذلك ، بطبيعة الحال ، أن الملفوظات السردية تُعد ملفوظات تركيبية ، بمعنى أنها مستقلة عن المحتوى الذي يمكن أن يستثمر في هذا الفعل أو ذاك ، وبأن العناصر المكونة للملفوظ ، ف وعا ، تُعد متشاكلة : كل تقييد دلالي للوظيفة (ف) ينعكس ضرورة على العامل (عا) والعكس صحيح . لنقدّم مثلاً ، يعدّ العامل متشاكلاً مع وظيفته ، بالطريقة نفسها التي يكون بها متشاكلاً اسم الفاعل مع فعله (مثلاً : صياد - صاد) .

3-2-3 : الملفوظات الجهية والملفوظات الوصفية .

هكذا ، إن نمذجة للملفوظات السردية - وفي الوقت نفسه ، للعوامل - يمكن أن تبنى بالإدماج التدريجي لقيود دلالية محددة . إذا كانت هناك ، مثلاً ، طبقة معيّنة من الوظائف مخصصة بإضافة المقوم السياقي : «الإرادة» ، فإن العوامل ، متشاكلة مع هذه الوظائف ، ستكون طبقة مقيّدة ، يمكن أن تُسمّى بالعوامل - الذوات . فعلاً ، إن «الإرادة» تُعد مقوماً مؤنسناً (ولكنه لا يعدّ ضرورة تصويرياً ؛ انظر : «هذه القاعدة تفترض أن . . .») يشيّد العامل بصفته ذاتاً ، بمعنى أنه

م ج: ف: أراد/ عا؛ مو/

إنها تلفظات لبرامج ممكنة موضحة في إطار عوامل-
موضوعات، آخذين بعين الاعتبار أن العامل-الموضوع للملفوظ
الجهي يمكن في كل لحظة أن يحول إلى أي ملفوظ وصفي. إذا
أدرجنا الآن قيداً إضافياً، يفترض أن الذات الدلالية للملفوظ
الوصفي يجب أن تكون نفسها مثل ذات الملفوظ الجهي، يمكن أن
نقول بطريقة معينة إن الفعل التركيبي يقتضي التحول من برنامج ممكن
إلى برنامج محقق.

إذا كان الملفوظ الوصفي قد تمّ تصويره بصفته برنامجاً ظلّ لا
متغيراً، فإن التحول يمكن أن يؤوّل بصفته استبدالاً للملفوظ الجهي،
التميز بوظيفة «أراد»، بملفوظ جهي للوجود، وهو يعدّ، كما نعرف
ذلك، فرضية ضمنية لكل ملفوظ وصفي.

3-2-4: الملفوظات الإسنادية.

أن نفترض أن موضوع الرغبة، الحاضر مثل عامل-موضوع،
يعدّ في الواقع ملفوظاً-برنامجاً، هذا يتطلب أن نقف عند هذا
الافتراض بعض الشيء. أمثلة أخرى تسمح بإدراج خصائص جديدة
لهذه الملفوظات الوصفية:

(3) يريد بيار تفاحة.

(4) يريد بيار أن يكون طيباً.

هذه الملفوظات اللغوية يمكن أن تمثل دلاليّاً كالاتي:

(3) ف: الإرادة/ عا: بيار؛ مو(ف: حيازة؛ عا: بيار؛ مو:

تفاحة).

(4) ف: الإرادة/ عا؛ ييار؛ مو(ف: حيازة؛ عا: ييار؛
مو: طيبوبة)/

التوضيح الدلالي، كما نرى، يسمح بإقامة، إلى جانب الملفوظات المشار إليها سلفاً والتي تعدُّ وظيفتها من نمط الفعل، نمطين آخرين من الملفوظات الوصفية المخصَّصة بوظائفها التي هي تارة من نمط الاكتساب، وتارة من نمط الكينونة. يمكن أن نصلح عليها بصفتها طبقة تابعة من الملفوظات الوصفية، مثل ملفوظات إسنادية (م. إ). إن ما يميز هذين النوعين من الملفوظات، على مستوى الوصف الدلالي، هو خصائص وظائفها التي تحصر بنسبة أقل؛ يتعلق الأمر في الحالتين بعلاقة إسناد بين الذات والموضوع الدلالين أكثر من الطبيعة الخارجية أو الداخلية للمواضيع المسندة. في الوقت الذي يمكن فيه، وذلك بالجمع بين وظائف الملفوظين الجهي والوصفي من أجل تأويلها، أن نقول إن رغبة الامتلاك تشيّد موضوع امتلاك محتمل مثل قيمة، نرى أن التفاحة تُعد قيمة خارجية في علاقتها بذات الرغبة، في حين تُعد الطيبوبة قيمة داخلية بالنسبة إلى الذات. إن علاقة الاختلاف هذه تُترجم بعناصر تركيبية وذلك بالقول إن العلاقة بين الذات وموضوع الملفوظ الإسنادي تُعد في الحالة الأولى سلمية، وفي الحالة الثانية تابعة، ونقول بتلخيص:

أ) إن إدراج، في النحو السطحي، جهة الإرادة يسمح ببناء ملفوظات جهية بعاملين: الذات والموضوع. ويسمح محور الرغبة الذي يجمع بينهما، بدوره، بتأويلهما دلاليّاً مثل ذات إنجازية محتملة وموضوع مشيّد بصفته قيمة.

ب) إذا كانت جهة الإرادة تثمّن الموضوع، فإن هذا الموضوع

بصفته عاملاً للملفوظ الجهي يمكن أن يحول إما إلى قول وصفي لل فعل (أمثلة 1 و2) - والفعل بهذه الصفة تصبح له قيمة - وإما إلى ملفوظات إسنادية (أمثلة 3 و4). تحقيق الإرادة يفسّر، إذاً، بامتلاك موضوعات-قيمة محددة في الملفوظات الإسنادية.

ج) التمييز بين نوعين: سلمي وتابع - من إسناد مواضيع - القيمة، يجب أن يتم الاحتفاظ به: إنه يقدّم معياراً شكلياً للتمييز بين نوعين من القيم - موضوعية وذاتية - لهما أهمية أساسية لفهم البنية السردية.

3-2-5: الملفوظات الجهيّة في علاقتها بالملفوظات الإسنادية.

يبقى لنا أن نتّمم لائحة أمثلة الملفوظات السردية بـ:

- يريد بيار أن يعرف (شيئاً ما).

- يريد بيار أن يقدر (على شيء ما).

نرى في الحال نفسه، من دون وصف دلالي، أن خاصية هذا النوع من الملفوظات تكمن في أن ملفوظاً جهيّاً لا يمكن أن يتخذ موضوعاً له ملفوظاً وصفيّاً بسيطاً، ولكن ملفوظاً جهيّاً آخر، يشغل بصفته ملفوظاً وصفيّاً وقابلاً، نتيجة لذلك، أن يكون موضوع تّمين بدوره.

عدد معيّن من الإثباتات يمكن أن تسجل بهذا الصدد:

1. في الوقت الراهن من معارفنا، يبدو أن وحدها جهات المعرفة والقدرة، يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار في بناء النحو السردية.

على تحول المشروع إلى المحقق، أو، وهو الشيء نفسه، على استبدال الملفوظ الجهي لإرادة الفعل بالملفوظ الجهي للوجود، وباستبدال الرغبة في الهيمنة بالهيمنة.

م ج = ف إسناد (عا 1 → مو)

ملاحظة: الملفوظ الأخير يوافق ترهين الإثبات: هذه العلاقة يعبر عنها بصورة مؤنسة بإسناد موضوع-قيمة.

3-2-3: العناصر المكونة للإنجاز.

في هذا المخطط الإجمالي للنحو السطحي، تمّ التركيز - وذلك بتناول، على سبيل المثال، مركّب واحد - على إقامة التوافقات عنصراً عنصراً بين مستويي النحو، وأيضاً على استيضاح المقولات المؤنسة التي تُستبدل بالعناصر وبالعمليات المنطقية. النتيجة هي بناء وحدة سردية خاصة هي الإنجاز: بما أنها تكون الخطاطة الإجرائية لتحويل المحتويات، فإنها تُعد، احتمالاً، الوحدة الأكثر تخصيصاً للتركيب السردى.

يعدّ الإنجاز محدّداً بهذه الصيغة وحدة تركيبية، خطاطة صورية قادرة على استقبال الوحدات الأكثر اختلافاً. من جهة أخرى، إن عاملي الإنجاز يعدّان قابلين للتبادل، الواحد أو الآخر يمكن أن يكون مهيمناً أو مهيمناً عليه. وفي الوقت نفسه، إن صنف المواضيع يعدّ خاضعاً للتغير وفق الصيغ المختلفة للإسناد التركيبى.

من وجهة نظر نظامه التركيبى، إن الإنجاز يتخذ شكل متتالية من الملفوظات السردية، المبنية وفق الصيغة المعمارية: الملفوظ السردى هو علاقة بين عوامل. هذه العلاقة، المعيّنة بمصطلح

وظيفة، تُعدّ قادرة على أن تأخذ بعض التخصيصات الدلالية المرسلة، نتيجة تشاكل الملفوظ، للعوامل وتكون قادرة حتى على تحديد عددهم.

إذا كانت الوظائف والعوامل هي العناصر المكونة لهذا النحو السردى، وإذا كانت الملفوظات السردية هي أشكالها التركيبية الأولية، فإن الوحدات السردية - التي يعدّ الإنجاز نموذجاً لها هنا - تُعدّ متتاليات مركّبة من الملفوظات السردية.

3-3-3: العلاقات المكونة للإنجاز.

مشكل العلاقات بين الملفوظات التي تتكون منها الوحدات السردية لا يفتأ يطرح في هذا الموضوع. لقد رأينا أن الإنجاز، بصفته وحدة سردية، يوافق الخطاطة التصنيفية، وأن الملفوظات التي تكونها، نتيجة لهذا، تُعدّ متساوية للعمليات المنطقية المؤطرة داخل هذه الخطاطة. لقد رأينا أيضاً أن العمليات المنطقية المكونة للخطاطة كانت موجّهة.

ومع ذلك، يجب أن نلاحظ أن هذا التوجيه الذي يعدّ قاعدة للنحو العميق، توافقه علاقة التضمين على مستوى النحو السطحي، مع هذا الفرق القريب، على الرغم من ذلك، الذي يتمثل في أنه إذا كان التوجيه يتبع ترتيب الملفوظات:

$$م \text{ س } 1 \leftarrow م \text{ س } 2 \leftarrow م \text{ س } 3$$

فإن التضمين يعدّ موجّهاً في الاتجاه المعاكس:

$$م \text{ س } 1 \supset م \text{ س } 2 \supset م \text{ س } 3$$

هذا التحويل الذي يسمح بتحديد الوحدة السردية بصفقتها متتالية

3-4: المتاليات الإنجازية.

3-4-1: تركيب للتواصل.

إلى حدّ الساعة، اعتبرنا الملفوظ السردي النهائي للإنجاز (م س 3) - الذي يعدّ المعادل، على المستوى السطحي، للإثبات المنطقي للنحو العميق - مثل ملفوظ إسنادي (م إ). يمكن أن نتساءل مع ذلك ما إذا كانت هذه الصياغة مقنعة.

يظهر هذا الإسناد - أو الحصول، بواسطة الذات، على الموضوع - بأنه يتقدم مثل فعل انعكاسي: الذات القائمة بالإنجاز تسند لنفسها، وذلك بأن تعتبر نفسها مثل ذات للملفوظ الوصفي، موضوع-قيمة. إذا كان الأمر هكذا، فإن الإسناد الانعكاسي لا يعدّ سوى حالة خاصة لبنية إسناد أكثر عمومية، وهي المعروفة جيداً في اللسانيات مثل خطاطة التواصل، أو أكثر عمومية أيضاً مثل بنية التبادل: وهي الممثلة، كما نعرف، في صيغتها المعمارية مثل ملفوظ مكوّن من ثلاثة عوامل: المرسل، المرسل إليه وموضوع التواصل.

م إ = ف: نقل (مرسل 1 ← مو ← مرسل - له)

إن إمكانية استعمال خطاطة متّسمة بعمومية كبيرة تُعد امتيازاً أولاً لهذه الصياغة الجديدة. فهي تسمح، زيادة على ذلك، بالتمييز بشكل واضح بين مستويين تركيبين مختلفين: أ. المستوى الذي يوجد فيه الفاعل الإجرائي التركيبي للإثبات، مترجماً داخل النحو السطحي مثل الذات القائمة بالإنجاز (إنه في الواقع ميتا-ذات وسبب عمليات النقل المنجزة).

ب) المستوى الذي تجري فيه عمليات النقل نفسها. إن عناصر

المرسل والمرسل إليه لا تعمل في واقع الأمر سوى على تسمية التمييز.

المستوى الثاني - الذي هو المستوى الوصفي وغير الإجرائي - يمكن، من الآن، أن يأخذ تمثيلاً طبولوجياً مؤنسناً: فالعوامل تدرك ليس فقط مثل فاعلين إجرائيين، ولكن مثل فضاءات يمكن أن تُرسى داخلها القيم الثمينة، فضاءات يمكن أن تجلب إليها القيم أو تسحب منها. يعدُّ النقل في هذه الحالة قابلاً لأن يؤول في الوقت نفسه مثل حرمان (على المستوى السطحي) أو مثل انفصال (على المستوى العميق) ومثل إسناد (على المستوى السطحي) أو مثل اتصال (على المستوى العميق).

هذا التأويل الذي يعوّض الملفوظات الإسنادية بالملفوظات الناقلة (م نا) يظهر أنه يقدم تمثيلاً أكثر دقة للإنجاز: نتيجة هذا الأخير (م س 3) لا تُعد امتلاكاً بسيطاً للقيمة، ولكنها تُعد نقلاً: إذا كان موضوع-القيمة قد أسند للذات المهيمنة، فلأن الذات المهيمنة عليها تُعد في الوقت نفسه محرومة من هذا الموضوع-القيمة؛ فالعمليتان المنطقيتان تصبحان بهذه الصيغة ملخصتين داخل ملفوظ واحد.

3-4-2: التركيب الطبولوجي للقيم الموضوعية.

يعود هذا التمثيل الطبولوجي لانتقال مواضيع-القيمة إلى مطابقة إشارات التحويلات بعناصر النموذج التصنيفي، التي تعتبر مثل وحدات مورفولوجية قابلة للحصول على استثمارات محتوى. لقد رأينا سابقاً أن استثمارات قيم المحتوى تتوزع بحسب خطاطين في

بهذا الشكل وحاملاً لمعرفة-فعل أو القدرة على الفعل، يصبح فقط بعد ذلك قادراً على تحقيق الإنجاز الذي خلق من أجله.

مجموعتان من الإنجازات يمكن أنذاك تمييزهما:

أ- الإنجازات الموجهة لحيازة وتبليغ القيم الجبهة.

ب- الإنجازات المتميزة بحيازة وينقل القيم الموضوعية. الأولى تؤسس الذات مثل فاعلين إجرائيين، والثانية تنجز بعد ذلك العمليات، الأولى تخلق الإمكانيات، أما الثانية فتعمل على تحيينها. هكذا، إلى جانب مسار طبولوجي متوقع من أجل نقل القيم الموضوعية والذي ينشئ، رأينا ذلك، متتالية مُركّبة أولى للإنجازات، هناك مسار ثانٍ من نفس النمط يُمكن أن يُتوقع من أجل نقل القيم الجبهة.

لا يمكن لنا أن نتوسع هنا حول الأصل للعامل الإجرائي الأول الذي يعطي انطلاقاً المسار التركيبي: سيجرنا هذا إلى دراسة، عن قرب، الوحدة السردية الخاصة التي هي العقد، والتي تؤسس ذات الرغبة بإسناد جهة الإرادة، وهي تحيين محتمل لـ «فعل الإرادة» للمرسل الأصلي. يكفي أن نسجل الآن أن إرادة الذات الفاعلة هي التي تجعله قادراً على القيام بالإنجاز الأول، المتّسم بإسناد القيمة الجبهة: المعرفة أو القدرة.

سُلمية أولى من القيم الجبهة يمكن أن تحدد؛ إنها توجه هكذا المسار التركيبي:

الإرادة ← المعرفة ← القدرة ← الفعل.

وتعتمد قاعدة لتنظيم المتوالية المركّبة للإنجازات، بعض

التضمينات لهذا النوع من التوجيه تعدُّ منذ الوهلة الأولى ، بادية للعيان:

أ- وحدها حيازة القيمة الجهية للقدرة، التي تجعل الذات الإجرائية قادرة على أداء الإنجاز الذي يسند إليها القيمة الموضوعية ..
 ب- ينجم عن هذا أن حيازة القيمة الجهية للمعرفة لها نتيجة هي إسناد القدرة على الفعل (التي تُعد وساطتها ضرورية للوصول إلى تحيين الفعل).

ج- في المقابل، إن وساطة المعرفة لا تبدو ضرورية لحيازة قيمة القدرة على الفعل. هذه الخاصية الأخيرة تسمح بالتمييز بين نوعين من الذوات: الذوات «العارفة» التي تُعد قدرتها في تحقيق الإنجازات نابعة من معرفة-فعل مكتسبة منذ البداية، ثم الذوات «القادرة» بفعل الطبيعة.

ملاحظة: إن حيازة قيمة جهية بواسطة الذات (أو الذات المضادة) التي تتمظهر، مثلاً، بالحصول على فاعل سحري أو على إرسالية-موضوع للمعرفة، تؤسّس هذه الذات مثل مساعد (أو مثل معاكس) قادر على المرور إلى الإنجاز اللاحق.

إن هذه المتتالية المركّبية، المحددة خارج الإطار الصوري للملفوظات الناقلة، أي بدون اعتبار العوامل المتضمنة، تسمح، قبلاً، بتدقيق طبيعة العلاقات بين نمطين مختلفين من الإنجازات؛ يتعلق الأمر بمتتالية من الإنجازات تُعد مُوجَّهة ما دام أن الإنجاز الذي يؤسّس الفاعل التركيبي، يكون متبوعاً بالإنجاز الذي يُجري العملية التركيبية؛ وفي الوقت ذاته إن الإنجاز الموضوعي يتضمنُ الإنجاز الجهي.

مجموعة من عمليات نقل القيم الموضوعية، المحكي المكتمل. إذا اخترنا، مع ذلك، مثل مستقبل للقيم الجبهة، عاملين مختلفين لكل واحد من المسارين (عا 1 وعا 2) - يعدُّ هذا الاختيار طبعاً اعتبارياً - فذلك لاستيضاح، في الوقت نفسه، التنظيم الخاص للمحكي المزدوج كما يقَدَّم، مثلاً، على شكل الحكاية الشعبية الروسية التي دُرست من لدن فلاديمير بروب. نرى فيها، بطبيعة الحال، أولاً العامل 2، مصطلحاً عليه قيمياً بالخائن، يقوم بحيازة القيم الجبهة على حساب العامل 1.

عا 2 = مو 1: المعرفة ← مو 2: القدرة.

ليفسح مكانه، لاحقاً، للعامل 1، المصطلح عليه بالبطل، الذي يحرمه تدريجياً، بامتلاكها، من القيم التي تَمَّت حيازتها سلفاً.

عا 1 = مو 1: القدرة ← مو 2: المعرفة.

3-4-5: الشكل العام للنحو السردى.

لقد قمنا بتحديد الخطوط الكبرى للتركيب السردى السطحي أو على الأصح لجزء فقط من هذا التركيب المتعلق بجسد المحكي نفسه. إن ما يغيب في هذا المخطط الإجمالي، والذي لا يمكن إلا أن نشير إليه باقتضاب هنا، هو دراسة وإقامة الوحدات التركيبية لتأطير المحكي، الموافقة للمقاطع الأولية والنهائية للمحكي المتمظهر.

يتعلق الأمر، في هذا الصدد، باستيضاح الوحدات التركيبية الموافقة لما يمكن، على مستوى النحو العميق، أن تكون عليه العلاقات المتلازمة للنموذج التصنيفي، أي إلى العلاقات التي يمكن

أن تتأسس في هذا النموذج بين العناصر س1 ولا س2 من جهة، وبين العناصر س2 ولا س1 من جهة أخرى، ويصبح انطلاق السرد ممثلاً مثل إقامة لعلاقة تعاقدية اتصالية بين مرسل ومرسل إليه-ذات، متبوعة بانفصال مكاني بين العاملين. إتمام المحكي يصبح موسوماً، على العكس من ذلك، باتصال مكاني وبنقل نهائي للقيم، مؤسساً بذلك عقداً جديداً بواسطة توزيع جديد للقيم، الموضوعية منها والجهية.

على الرغم من أنها تظل غير مكتملة، يجب على محاولتنا أن نعطي، على الأقل، فكرة معينة عن ما يمكن أن يكون تنظيماً تركيبياً للسردية. لقد تعرفنا في التنظيم التركيبي إلى نوعين من المتتاليات المركّبة الموجهة، المنظمة لنقل القيم، الجهية منها والموضوعية، في إطار تركيب ذي طابع طبولوجي. مواضع القيمة مؤطرة داخل ملفوظات سردية نهائية تمثل نتائج الإنجازات وتتضمنها منطقياً؛ هذه المتواليات المركّبة تعد في الواقع انتظاماً لإنجازات، مثل وحدات تركيبية متكررة ومتطابقة شكلياً. مبدأ آخر للتنظيم المركّبي تمّ التعرف إليه أيضاً: الإنجازات منظمة بشكل تكون معه الأولى، وهي مخصصة بإسناد قيمة جهية تؤسس الذات بصفيتها ذاتاً لإجرائية، ويجب أن تكون متبوعة بثانية تقوم بتحيين العملية. أما فيما يخص الوحدة التركيبية النموذجية التي هي الإنجاز، فقد رأينا أنها يمكن أن تستوعب مثل متتالية لثلاثة ملفوظات سردية مرتبطة بتضمينات. بدراسة الملفوظات السردية، استطعنا إجمال نمذجة عامة؛ بإدماج التحديدات الدلالية الإضافية لوظائفها وتنويع العدد والتخصيصات لعواملها. ميّزنا بين ثلاثة أنواع رئيسة من الملفوظات السردية:

أكثر عمقاً، فإن تموضعها يجعلها، على الرغم من ذلك، تسجل داخل المسارات السردية الثلاثة التي تكون حبكة خطاطة تركييبية ذات شمولية كبيرة. فعلاً، تكون الخطاطة السردية نوعاً من الإطار الصوري الذي يتجذّر ضمنه «معنى الحياة» بترهيناته الثلاثة الهامة: تأهيل الذات الذي يدمجه داخل الحياة؛ «تحقيقه»، بواسطة شيء يقوم «بفعله»؛ والجزء في الأخير - الذي يعدّ في الآن نفسه حكماً واعترافاً - هو وحده الذي يضمن معنى أفعاله ويحدّده بصفته ذاتاً بحسب الكينونة. إن هذه الخطاطة على قدر كبير من العمومية، يسمح بكل التنوعات حول هذا الموضوع: إن تصورهما على مستوى كبير من التجريد وتفكيكها إلى مسارات، يساعد على جعلها قادرة على توضيح وتأويل أنواع مختلفة من الأنشطة، الإدراكية منها والبراغماتية.

- 3 -

هناك انتظامات أخرى يمكن التعرف إليها بتحليل خطاطة بروب، وهي ليست ذات طبيعة مركّبة، ولكنها عمودية. إن الإسقاط، على المحور المركّبي لمقولات عمودية، يسمح باعتبارها، في مقارنة أولى، مثل مركّبات سردية منقطعة. إذا كانت الانتظامات المركّبة تنهض على التواتر لعناصر مماثلة، فإن الانتظامات العمودية تُعد توارداً متكرراً لوحداث مع بُنيات أو محتويات معكوسة. وهو الأمر نفسه بالنسبة إلى التنظيم التعاقدي للخطاطة السردية. إن الاختبارات الثلاثة للعامل تُعد مؤطرة على مستوى سُلّمي عالٍ بُنية تعاقدية: تبعاً للعقد المبرم بين المرسل والمرسل إليه-الذات، يمر هذا الأخير بمجموعة من الاختبارات للوفاء بالالتزامات التي قطعها

- 5 -

هناك إسقاط عمودي أخير، الأكثر وضوحاً ربما، يوافق العلاقة المعروفة بين وظيفتي بروب: «النقص» و«تجاوز النقص»، التي تسمح، في بعض الخدود، بتأويل المحكي بصفته توالياً لمجموعة من الانهيارات والتحسينات (انظر أعمال كلود بريمون⁽¹⁾). من النظرة الأولى، يتعلق الأمر، في هذه الحالة، بالأخذ بعين الاعتبار، ليس فقط نشاط (فعل) الذوات ولكن تبادل المواضيع-القيمة. تبدو عوامل الفعل، إذًا، بمثابة فاعلين إجرائيين موجهين نحو إنجاز خطاطة لنقل موضوعات محدّدة سلفاً. إننا بتحديد المواضيع، بمثابة فضاءات لاستثمار القيم وحسب، التي تُعد من خصائص عوامل الحالة والتي تحدّدها في «كينونتها»، نستطيع إعادة تأويل خطاطة تبادل المواضيع بمثابة تركيب للتواصل بين العوامل الفاعلة.

- 6 -

في إعادة القراءة هذه لخطاطة بروب، تكون الخطوة الحاسمة قد أنجزت بالتعرف إلى البنية الجدلية التي تُعد محايدة لها: إن الحكاية العجيبة لا تُعد فقط حكاية البطل وحكاية بحثه، ولكن أيضاً، وبطريقة خفية تقريباً، حكاية الخائن: مساران سرديان، مسار العامل ومسار العامل المضاد، يسيران في اتجاهين متعارضين، ولكنهما يتميزان بكون العاملين يحدّدان لنفسهما موضوعاً واحداً هو

(1) يتعلق الأمر بعمل كلود بريمون حول المحكي. انظر:

Brémond (Claude), *Logique du récit*, Seuil, Paris, 1973.

الموضوع نفسه-القيمة: هكذا، تبرز خطاطة سردية أولية تقوم على البنية الجدلية. وإذا نظرنا إليها بتمعن، فإن بنية المواجهة هذه لا تمثل سوى واحد من القطبين القصيين - القطب الآخر هو البنية التعاقدية - للمواجهة التي تخصص كل تواصل بشري: إن التبادل الأكثر هدوءاً يتضمن مواجهة رغبتين متناقضتين والصراع يتجذر ضمن إطار شبكة من الاتفاقات الضمنية. يبدو الخطاب السردى، إذاً، بمثابة فضاء من التمثيلات التصويرية لمختلف أشكال التواصل البشرى القائم على التواترات وعلى العودة إلى التوازن.

- 7 -

إن المسار السردى للعامل، الذي يبدو أنه يمثل نواة الخطاطة السردية، مؤطر من الجانبين بمستوى عالٍ، بترهين متعالٍ، يتأطر فيه المرسل، وهو مكلف بتسخير الذات الفاعلة للمستوى المحايث والحكم عليها، وهي الذات التي تعتبر بمثابة مرسل إليه. تُعد العلاقة بين المرسل والمرسل إليه غامضة: إنها تستجيب، من جهة، لمبدأ التواصل الذي أشرنا إليه، وتظهر البنية التعاقدية مهيمنة على مجموع الخطاطة السردية: إنجاز العامل الذات يوافق تنفيذ المتطلبات التعاقدية المقبولة، ويستدعي، بالمقابل، الجزاء؛ وعلى الرغم من ذلك، إن العلاقات المتناظرة والمتساوية التي تتأسس بين المرسل والمرسل إليه - والتي تسمح بالرؤية لهما، في الحساب التركيبي، مثل عوامل عا 1 وعا 2 - هي علاقات متناقضة جزئياً بواسطة لا تناظر نظامهما على التوالى: المرسل - سواء أكان مسخراً أو مكلفاً بالتحويل لحسابه الخاص، المرسل إليه، سواء أكان ذاتاً قادرة أو له

قدرة الحكم، يقيم القدرة العادلة والمعرفة الحقيقية - ينجز فعلاً
تفصيلياً يضعه في موقع عالٍ سُلَّمياً مقارنة مع المرسل إليه. غير أن
هذا لا يكفي لتحديده: المداهنة، مثلاً، بصفتها تصويرية خطابية،
تقدّم عاملاً (عا1) يقوم بتسخير عا2. وعلى الرغم من ذلك، إن
عا2، يعدُّ بالتحديد في موقع عالٍ سُلَّمياً في علاقته بالعامل 1. أكثر
من القدرة الممارسة، إنها القدرة المحددة سلفاً هي التي تخصص
النظام السُلَّمي للمرسل. بواسطة، يصبح ملائماً، ربما، تحديد
الترهين المتعالي الذي أطرناه ضمنه.

- 8 -

بانحدارها من التعميمات المتتالية انطلاقاً من وصف بروب،
تظهر الخطاطة السردية، إذاً، مثل نموذج أيديولوجي من حيث
المرجعية، سيقوي مدة زمنية طويلة كل تفكير حول السردية.
ويسمح، منذ الآن، بتمييز ثلاثة مركّبات مستقلة للتركيب السردية،
وهي المسارات السردية لذات الإنجاز، المرسل المسخّر والمرسل
الحاكم، ويسمح باستشراف، بنوع من الثقة، مشاريع سيميوطيقا
للفعل وسيميوطيقا للتسخير وسيميوطيقا للجزاء. ومع ذلك، إننا
سنكون مخطئين إذا تصورنا أن التوالي البسيط لهذه المسارات، ينتج
وحدة تركيبية ذات أبعاد أكثر اتساعاً - ولكنها من نفس طبيعة
مكوناتها - ستكون هي الخطاطة السردية. يوجد، مع كل
التحفظات، بين الخطاطة السردية، من جهة، وبين المسارات
السردية التي نلتقي بها داخلها، من جهة أخرى، المسافة نفسها التي
بين البنيات العاملة لملفوظ وبين المقولات المركّبة التي تشغل هذا

الموقع العاملي أو ذاك: هكذا، إن التصويرية الخطابية التي حُدِّدت مثل مسار للتسخير، يمكن أن توافق «وظيفة» المرسل-المستَـخَر. غير أنها ستتواجد، أيضاً، داخل مسار الذات المنجزة لفعلٍ (القواعد الخاصة بهذا النوع من التكرار ما زالت لم تنجَز بعد). يمكن أن نقول إن الاستراتيجية السردية هي التي تنظم تركيبات وتداخلات المسارات السردية، في حين أن الخطاطة السردية تُعد معيارية بصفقتها. نموذجاً مرجعياً يمكن - في تعالق معه للانزياحات، للتمطيطات، للتمركزات الاستراتيجية - أن تحسب.

الفصل الثالث

العوامل، الفواعل والصور⁽¹⁾

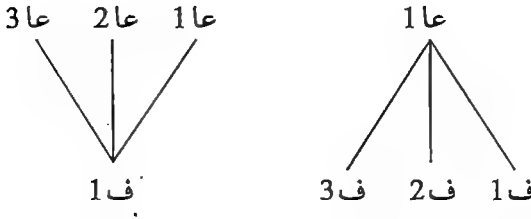
1. بنيات سردية.

1-1: عوامل وفواعل.

إن إعادة التأويل اللساني للشخصيات الدرامية الذي اقترحه انطلاقةً من الوصف البروبي للحكاية الروسية العجيبة، حاول تأسيس، في البداية، تمييز بين العوامل المتعلقة بالتركيب السردى، والفواعل الذين يمكن تعرفهم داخل الخطابات الخاصة التي يتمظهرون داخلها. هذا التمييز الذي نستمر في اعتباره تمييزاً ملائماً - لأنه سمح، على الأقل، بالتمييز بوضوح بين المستويين المستقلين اللذين يتأطر داخلهما التفكير حول السردية - لم يمنع من إثارة، منذ البداية، صعوبات نجمّة توضّح بهذه الطريقة ذاتها تعقد الإشكالية السردية. لقد لاحظنا، مثلاً، أن العلاقة بين فاعل وعامل، بعيداً من أن تكون علاقة إدماج بسيط لوحدة داخل صنافة، تُعدّ مزدوجة:

(1) النصّ مقتطف من كتاب:

Greimas (A. J.), *Du sens II*, op. cit., pp. 49-60.



إذا كان عامل (1 عا) يمكن أن يتمظهر داخل الخطاب بواسطة عدد كبير من الفواعل (1 ف، 2 ف، 3 ف)، فإن العكس يعد أيضاً ممكناً: فاعل واحد (1 ف) يمكن أن يكون التركيب لمجموعة من العوامل (1 عا، 2 عا، 3 عا).

لقد سمحت أبحاث لاحقة برؤية أكثر عمقاً فيما يخص التنظيم العملي لـ «شخصيات المحكي»، بتصور - أكثر من ذلك - إمكانية تحقيق نحو سردي مستقل عن التظاهرات الخطابية. تنظيم الفواعل، على العكس من ذلك، لم يحظ سوى باهتمام قليل من لدن هذه الأبحاث: إنه نقص يفسر بوضوح غياب نظرية متماسكة للخطاب.

باستثمارنا لواقع معين، وهو أن الأبحاث السردية تظهر، بمعنى ما، في تقدم، فكرنا في أنه أصبح من المُجدي القيام بتحديد اصطلاحي وديداكتيكي في الوقت ذاته، وذلك في أفق هدف مزدوج: لإحصاء ما يمكن، في هذا المجال، أن يشدد على العدد المتصاعد دوماً - بسبب، بخاصة، التحول التدريجي لمركز الاهتمام من الأدب الشفوي إلى الأدب المكتوب - للمشاكل التي وجب حلها بشكل مستعجل، ولتحديد الاتجاهات التي يعدُّ مستحسناً سلكها.

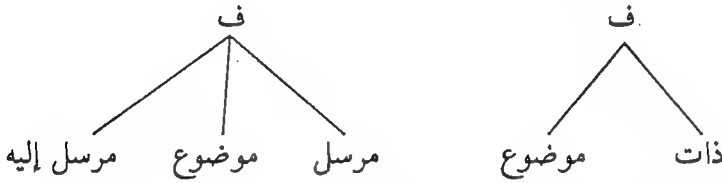
2-1: بنية عاملية.

تظهر البنية العاملية أكثر فأكثر مثل بنية قادرة على استيضاح

تنظيم المتخيل البشري، إنها إسقاط لأكوان جماعية وفردية.

1-2-1: انفصالات تركيبية.

إذا اعتبرنا المحكي ملفوظاً شاملاً، أنتج ونُقل من لدن ذات ساردة، هذا الملفوظ يمكن أن يفكك إلى متتالية من الملفوظات السردية (= وظائف بروب) المتسلسلة. بإسنادنا للفعل-المحمول، نظام الوظيفة (بالمعنى المنطقي للعلاقة الصورية)، يمكن أن نحدد الملفوظ بصفته علاقة بين العوامل التي تكونه. نوعان من الملفوظات السردية يمكن أن يلتقيا:



أو في الصياغة المقترضة من المنطق:

ف (عا ← موضوع) ف (م1 ← مو ← م2)

كيفما كان التأويل الذي سنعطيه لهذه البنيات التركيبية: أ) على المستوى الاجتماعي، علاقة الإنسان بالعمل المنتجة لقيم مواضيع، تجعلها موضع تبادل في إطار بنية تبادل، أو ب) على المستوى الفردي، علاقة الإنسان مع موضوع-رغبته، وتأطير هذا الأخير داخل بنيات التواصل البشري المشترك. الانفصالات التي تمت بواسطة هذه الخططات الأولية تبدو عامة بالشكل الكافي الذي يسمح بتقديم قواعد تمفصل أولي للمتخيل. صياغات لفظية لبنيات «واقعية» سابقة على الفعل اللساني أو إسقاطات للذهن البشري المنظمة لعالم

«واقعية»، يبذل جهداً لتوضيح هذه الاقتضاءات بإظهار، بشكل متوالٍ، الاستطاعات والإنجازات للذات، بل تقوم بأكثر من هذا. إذا كانت استطاعة الذات المتكلمة، مثلاً، يمكن أن تتصور مثل تركيب لجهات: الإرادة+القدرة+معرفة-القول، فإن السرد، مع إظهار هذه الاستطاعات مثل استطاعات لفعل سيميوطيقي، يمكن أن يؤدي إلى انفصالها في الوقت ذاته، إما بإسناد جهات معرفة الفعل أو القدرة على الفعل لعوامل مختلفة، وإما بالعمل على إكساب هذه الجهات المختلفة، بشكل منفصل ومتوالٍ بواسطة عامل واحد خلال برنامج سردي واحد. هذا ما نريد الوصول إليه: إذا كانت الذات الحاصلة على الاستطاعة تُعد مغايرة للذات المنجزة، فإنهما لا تشكلان، مع ذلك، عاملين مختلفين، فهما لا تشكلان سوى ترهينين لعامل واحد هو العامل نفسه. بحسب المنطق التحفيزي، فإن الذات يجب أن تحصل على استطاعة معينة لتصبح منجزة؛ بحسب منطق الاقتضاءات، يتضمن الفعل الإنجازي للذات، سلفاً، استطاعة لإنجاز الفعل.

نقول إذاً إن العامل-الذات يمكن أن يُنجز، في إطار برنامج سردي معين، عدداً معيناً من الأدوار العاملة. هذه الأدوار تُعد محدّدة في الآن نفسه بموقع العامل في التسلسل المنطقي للسرد (تحديده التركيبي) وباستثماره الجهي (تحديده المورفولوجي)، وهو ما يجعل التقعيد النحوي للسردية ممكناً.

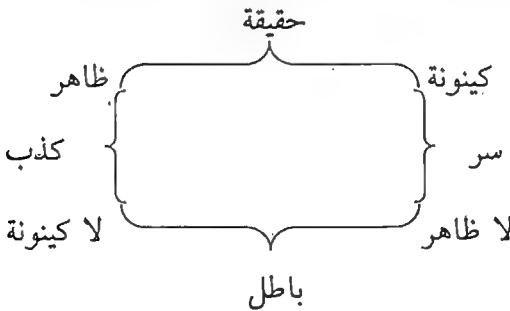
إن مصطلحية للأدوار العاملة، يمكن أن تكون، ستسمح بوضوح تمييز العوامل ذاتها من الأدوار العاملة التي يكونون ملزمين بإنجازها في مسار المحكي. هكذا، يمكن أن نميز الذات الممكنة

من ذات الإرادة⁴ (أو الذات المؤسسة)؛ كما يمكن أن نميز هذه الأخيرة من البطل وفق القدرة (الغول⁽¹⁾، رولان) أو هذه الأخيرة من البطل وفق المعرفة (عقلة الإصبع، الثعلب) ... إلخ.

1-3-2: التحاقق.

إن استراتيجية الأدوار العاملة المكتسبة أو المتبادلة على طول المحكي، لا تنحصر في لعبة الاستطاعة والإنجاز. يجب أن لا ننسى، طبعاً، أن لا شيء في إطار الحكاية الشعبية، استطاعة الذات (= تأهيلها)، يمكن أن يكتسب إلا بواسطة إنجاز مصطنع. والحال، أننا حين نقول إنها مصطنعة، نضمّر بأنها منجزة لتظهر حقيقية، ولكنها ليست كذلك «في الواقع».

مشكل التحاقق يتجاوز، هكذا، بشكل واسع إطار البنية العاملة. يتعلق الأمر في هذه اللحظة بإبراز، وذلك بإدماج داخل الإطار الذي رسمنا، مقولة الكينونة والظاهر، كيف أن هذه، مع تعقيد أكثر للعبة السردية، تنمّي كثيراً عدد الأدوار العاملة. باقتراح التأويل السيميوطيقي لمقولة حقيقة/باطل وفق تمفصلات المربع



(1) شخصية الغول في الحكاية الشعبية الفرنسية تتميز بالقدرة:

أ) سمح لنا تحليل العامل-الموضوع بالتمييز، فضلاً عن ذلك، بين نوعين من المواضيع: المواضيع التي تستثمر بـ «قيم موضوعية»، والمواضيع التي تستثمر بـ «قيم ذاتية»، على الرغم من النقص الاصطلاحي الظاهر، فإن التمييز ينهض على معيار بنيوي هو صيغة إسنادها التي تتم، في الحالة الأولى، وفق الامتلاك، وفي الحالة الثانية، وفق الكينونة. إضافة إلى هذا المعيار الأول، يمكن أن نضيف معياراً ثانياً، إنه معيار تمظهرها «الفواعلي» داخل الخطاب: بينما نجد أن المواضيع المستثمرة بـ «القيم الموضوعية» تكون حاضرة داخل الخطاب على شكل فواعل متميزة بالتفريد ومستقلة (الطعام أو الأطفال في عقلة الإصبع). نلاحظ أن المواضيع المستثمرة بقيم ذاتية تكون متمظهرة بفواعل يكونون معاً، وفي الوقت نفسه، ذوات ومواضيع (عقلة الإصبع، بصفته فاعلاً، يعدُّ في الوقت ذاته ذاتاً-بطلاً، وموضوع استهلاك بالنسبة إلى الغول، ومموتاً، في النهاية، بالنسبة إلى عائلته كلها⁽¹⁾). وهكذا، إن الأدوار العاملة يمكن أن توزع بطريقة اتصالية أو انفصالية بين الفواعل.

ملاحظة: وهكذا، إن القيم الموضوعية يمكن أن تكون مضاعفة أو مثلثة في محكي واحد (طعام وأطفال) ويمكن أن تكون ممثلة

(1) يستند غريماس في هذه الاستنتاجات النظرية إلى بُنية الحكاية الشعبية: عقلة الإصبع. تُعد هذه الشخصية، بصفته فاعلاً، البطل الرئيس في الحكاية الشعبية: عقلة الإصبع، لكنها تُعد في الوقت ذاته موضوع استهلاك (طعام) للغول حينما استفرد بها صحبة إختوها الست في الكوخ بالغابة. كما يعدُّ في النهاية الممون للعائلة (لأبويه) حينما نجح في التخلص من الغول، صحبة إختوه، وفي الحصول على كل خيرات الغول اعتماداً على الدهاء.

بفواعل تابعة منفصلة، ترتبط فيما بينها بعلاقات ارتباط تركيبيه مشتركة (غياب الطعام يحفز ضياع الأطفال).

ب) الأدوار العاملة التي تحدّد استطاعة الذات، يمكن أن تظهر إما بواسطة الفاعل نفسه الذي يُعدّ نفسه ذاتاً فاعلة، وإما بواسطة فواعل منفصلة. في هذه الحالة الأخيرة، الفاعل الخاضع للتفريد سيصطلح عليه، في إطار نظامه بصفته مساعداً، ووفق مطابقته للإشارية الإيجابية أو السلبية، تارة عاملاً مساعداً، وتارة عاملاً معاكساً.

ج) المرسل إليه يمكن أن يكون هو نفسه المرسل (كذلك، البطل عند كورناي، الذي له «دين على نفسه». الفاعل الوحيد، يصبح إذاً مكلفاً بالقيام بالدورين العاملين).

د) الذات والذات المضادة، يمكن أن تجتمعا سوياً وأن تقودا، داخل فاعل واحد، «صراعاً داخلياً» إلى حدّ الموت (فاوست⁽¹⁾). بعض هذه الأمثلة تبدو دالة، بما فيه الكفاية، من أجل أن نقول إن أي عامل، أي دور عاملي، يعدّ قابلاً أن يستثمر داخل فاعل منفصل ومستقل، وبالعكس. فإن كل الانفصالات المنجزة على مستوى البنية العاملة يمكن، بمعنى ما، أن تكون محايدة باستثمارات اتصالية داخل فواعل أكثر تعقداً. بتبئير هذه الإثباتات، يمكن أن نتصور نظرياً نوعين نقيضين ممكنين من بُنى الفواعل: أ) التماثل الفواعلي

(1) فاوست، شخصية رئيسة في حكاية شعبية ألمانية، تعرض الحكاية مصير فاوست الذي يعقد ميثاقاً مع مفسد فيليس مفاده أن يحقق كل رغباته (حياة ثانية) مقابل تسليمه روحه. شكلت الحكاية قاعدة لعدد من الأعمال الإبداعية في أجناس متعددة: الأدب، الموسيقى، السينما، التشكيل...

العاملية. لأسباب نظرية، أولاً: تكون هذه النماذج محاولة لاستيضاح الترهينات ومسارات المعنى، المولدة للخطاب. ولكن لأسباب تداولية، أيضاً، يجب أن تعتبر مثل نماذج تنبئية، مثل فرضيات مقدمة على شكل تمفصلات منطقية، يمكن إذا أسقطت على نصوص أن تزيد في وضوحها.

وهذا لا يمنع أن الباحث، أمام نصّ عارٍ، يشعر بضيق لعدم توفره على إجراءات موضوعية، تسمح له بإجراء اختيارات ضرورية وبالتعرف إلى عناصر الخطاب (الفواعل، في حالتنا) الملائمة سردياً. الفرق بين ما يعتقد أنه يعرف حول صيغة وجود البنيات السردية وتقنيات القراءة التي توجد في حوزته، يعدّ كبيراً: العجز النسبي للتحليل النصي الذي يزعم أن ينجزه بالامتناع عن تثمين معرفته السردية الضمنية، يعدّ هنا دالاً مثلما هو الأمر بالنسبة إلى الصعوبات التي يعانيها الاتجاه البنائي الاستنباطي للوصول إلى التمظهر الخطابي.

هكذا، بتخيلنا مؤقتاً عن المقاربة الاستنباطية المحددة في إطار السردية، سنحاول تناول المشكل من جديد، انطلاقاً من الاعتبارات العامة حول التمظهر اللساني.

2-2: صور وتصويريات.

ضعف نتائج التحليل النصي، حين يبحث إمكانية تحديد إجراءات تعرف فواعل الخطاب من بين عدد لا يحصى من العوامل التركيبية التي تشملها ملفوظاته، وتحديد، في الوقت ذاته، الفواعل في استمراريتها وفي تحولاتها، يأتي، بحسب ما يعنّ لنا، من كونها

أن تعتبر البُنات السردية مثل بُنات تخصص المتخيل البشري عامة، تُعد التصويريات الخطابية حوافز وتيمات كما أنها تُعد قابلة أن تتسم بعمومية كبيرة وبهجرات عبر لغوية خاضعة لتصفية تنسيبية تربطها بالفضاءات وبالمجموعات السيميائية-الثقافية.

هذه إذاً مجموعة من الوقائع التصويرية - لكي لا نذكر سوى الأكثر. تخصيصاً - التي يجب جمعها وتقويمها من أجل إعطائها صياغة سيميوطيقية منسجمة - وهو ما ليس بالأقل أهمية بالنسبة إلينا - بهدف جعلها مطابقة لمتطلبات النحو السردى.

2-3: الأدوار التيمائية.

إن الإقرار بوجود مستويين - سردي وخطابي - مستقلين ومتداخلين، يستوضح جيداً الخطوة الغامضة لعامل السرد، المدعو إلى متابعة، بشكل متزامن، المسارين التركيبين المفروضين عليه من جهة، البرنامج السردى المحدد بواسطة توزيع الأدوار العاملة، ومن جهة أخرى، الممر المفضل المشيّد بواسطة التصويرية الخطابية، حيث تقترح صورة ما، حالة وضعها، تسلسلاً تصويرياً، يعدّ نسبياً، قسرياً.

هذان المساران، على الرغم من ذلك، ومع أنهما متوازيان ومن الممكن توقعهما بطريقة معيّنة، يعدان من طبيعة مختلفة. يعدّ الأول برنامجاً مختاراً بشكل قصدي في إطار نحو سردي، أما الثانى فيصدر عن معجم خطابي، عن جرد خطابي مكون من تصويريات مشكّلة انطلاقاً من فضاءات جماعية و/أو فردية مغلقة. طبعاً، كما أن معجماً جملياً، يعدّ قائمة من الصور المعجمية تتضمن كل واحدة

تعداد إمكانياتها المقوماتية السياقية بعدد محدود، يعدُّ أيضاً مسموحاً تصور معجم خطابي مثل مستودع من «التيّات» و«الحوافز» مكون من ومن أجل الاستعمال الخاص بالمشاركين في فضاء دلالي (والذي تكون فيه الأصلة كامنة في خط المسارات التوليدية الجديدة، الوحدات المعجمية، الممكنة ولكنها غير المحققة بعد).

لأنه يجب أن لا ننسى أن التصويريات الخطابية ليست شيئاً آخر سوى أنها «أشكال محتوى» خاصة بالخطاب: التمظهر الخطابي للسردية لا يعدُّ، في هذا الإطار، سوى إدماج في المواضيع السردية المولدة بواسطة النحو السردى، لمكوناتها الدلالية المقدم، حقيقة، في شكله المركّبي والمنجّز سلفاً مثل شكل، وليس مثل مادة للمحتوى. اتصال الترهينين، السردى والخطابى، له، إذاً، نتيجة استثمار المحتويات في الأشكال النحوية المعيارية للسرد، ويسمح بتقديم الإرساليات السردية الحاملة لمعنى.

كون الخطاب يظهر مثل الشكل المنجّز للمحتوى الذي يتمظهر بواسطة تصويريات ذات طبيعة مركّبية، لا يعنى أنه لا يطرح مشكل تنظيمها البنيوي. بعض الأمثلة، غير المتجانسة من النظرة الأولى، تسمح ربما باستشفاف، إن لم يكن الحل، على الأقل اتجاهات البحث التي ينبغى الشروع فيها.

إن مفهوم التصويرية الخطابية هو الذي يسمح باستيضاح الطريقة، مثلاً، التي يتحدد بها تشاكل غذائي وحيد داخل أسطورة بورورو⁽¹⁾ من أصل النار، التي حاولنا، في مكان آخر، تحليل

(1) قام غريماس بتحليل هذه الأسطورة ضمن كتاب: في المعنى، انظر:

Greimas (A. J.), *Du sens*, op. cit., pp. 185-230.

الفعل، التي تكونُ مُطابقة في كل مرة للصورة المُنتقاة في البداية، كلُّ هذه العناصر تُصبحُ مختلفة، في الأبعاد نفسها، عن بعضها البعض. بتبئير الظاهرتين، يمكن أن نقول إن صورة وحيدة في الأصل، في حالة التشاكل المتعدد، يمكن أن تفضي إلى امتدادات دلالة متراكبة داخل خطاب واحد؛ في حالة تعدد التفرعات، التنوع التصويري المضبوط والمنظم بواسطة الحضور الضمني لدور وحيد، لا يمنع متابعة دلالة مقارنة، إن لم تكن متساوية في عدد من الخطابات المتمظهرة. أهمية هذا المثال الأخير، تكمن، نرى ذلك، خاصة في ظهور، تحت تصورات مختلفة، دور تيماتِي وحيد. لأن المشكل الذي يطرح داخل إطار نظرية السردية، وبخاصة مكوّنها العملي، هو معرفة ما إذا كانت التصويرات الخطابية يمكن أن تخضع للتحليل البنيوي، وما إذا كان، في حالة جواب إيجابي بدأ يظهر أنه يتدقّق، هذا التحليل يستطيع أن يخلص إلى عناصر اسمية خفية قابلة أن تواجه وتقوّم عنصراً بعنصر مع الأدوار العاملة، والحال أن الاختزال المحتمل للتصويرات إلى أدوار خطابية يمكن فعلاً أن يؤدي الغرض المقصود.

في الأمثلة المتفرقة بالصدفة لهذه التأملات - عين، قلب، شمس، نار، خادم كنيسة - كل شيء يمرُّ كما أن الصور الاسمية (اسمية لأنها حاملة لمقوم «كوني»، يسمح باعتبارها مثل موضوعات بالتقابل مع الصيرورات) كانت حاملة لاحتمالات تسمح بتصور ليس فقط تحقيقاتها المقوماتية الجمالية، ولكن أيضاً الشبكات الممكنة لمحاولاتها التصويرية، موضوعات تصويرية محتملة تستهدفها حينما تكون في موقع ذوات، أو ذوات محتملة يمكن أن تسخرها مثل

مواضيع. إسقاط ممكناتها على تشاكل خطابي معيّن، مع السماح بتمظهرها الموسع على طول الخطاب (أو على مقطع من الخطاب)، تفرض عليهم نظاماً معيّناً وذلك بالسماح بتحقيق بعض المسارات التصويرية المعيّنة فقط، مع استثناء مسارات أخرى تظلّ معلّقة. مع كل التحفظات، يوافق التصوير الخطابي، في إطار الخطاب، الدور التيماتى، كما أن الوحدة المعجمية توافق المقوم السياقي في إطار الملفوظ.

يعدّ هذا الإثبات مضيئاً، غير أنه غير كافٍ: التصويرية تضمّ في قلبها كل الصور - اسمية، فعلية ولكن أيضاً ظرفية مثل المكان والزمن - التي تكون قادرة على الربط بينها: الدور التيماتى لا يعدّ سوى صورة اسمية. إذا استطعنا الادّعاء بأنه يجمع، بمعنى معيّن وفي حدود يحددها له تشاكل الخطاب، كل الصور غير الاسمية لتصويريته، فإن ذلك يتم بموجب خاصية من خصائصه البنيوية. زيادة على التيمة، يعدّ أيضاً دوراً، وعلى المستوى اللّساني، يمكن أن نجد له معادلاً بنيوياً في اسم فاعل، الذي يعدّ في الوقت نفسه اسماً (= صورة اسمية) وفاعلاً (= دور شبه تركيبى). الوحدة المعجمية صياد، مثلاً، تعدّ بناءً سطحياً جدّ مكثف: يعين من يملك استطاعة محدودة في فعل معيّن قابل للتوسع، حيث، حين يكون مبرزاً، يمكن أن يغطي مقطعاً خطابياً طويلاً، غير أنه يحافظ، في الوقت ذاته، على هذا المستوى على الأقل، على طبيعته الدلالية؛ يمكن أن يحتل، في «النحوين» معاً، اللّغوي والسردى، مواقع عاملية مختلفة.

الدور التيماتى يتحدّد وقتئذٍ بعملية اختزال مزدوج: الأول هو اختزال التصويرية الخطابية إلى مسار تصويرى واحد محقق أو ممكن

أن نكون ملزمين بقلب الإجراءات وإعطاء الأولوية المنطقية للأدوار التيماتية التي تنفرد بالصور وتنمّيها داخل مسارات تصويرية، تشمل ضمنياً كل التصويريات المحتملة للخطاب المتمظهر.

منذ هذا الوقت، يصبح من السهل القيام بخطوة أخيرة والقول إن انتقاء الأدوار التيماتية، التي تأكدت أولويتها المنطقية في علاقتها بالتصويريات، لا يمكن أن يتم سوى بمساعدة العناصر النهائية التي تنتهي إليها عملية تأطير البنيات السردية، أي الأدوار العاملة. إن تحمّل الأدوار التيماتية بواسطة الأدوار العاملة هو الذي يكون الترهين الوسيط الذي ينظّم الانتقال من البنيات السردية إلى البنيات الخطائية.

ملاحظة: من البديهي أن إدراج مفهوم الدور التيماتي لا يفتأ يطرح بعض الصعوبات الجديدة الجمة، كل تخصص - علم النفس، علم النفس الاجتماعي، السوسيولوجيا - يقدم جرده الخاص بالأدوار. التمييز الذي اقترحنا في وقت آخر بين «الشكل السيميوطيقي» و«الشكل العلمي» يمكن أن يستعمل هنا من أجل التمييز بين نمطين من «الأدوار». أعمال كلود بريمون⁽¹⁾ تستحق، بهذا المعنى، كل اهتمامنا.

(1) يحيل غريماس هنا على أعمال كلود بريمون التي اقترح فيها مفاهيم لتحليل النصّ السردية، وتقوم على الاحتمالات السردية و«الأدوار السردية»: الفاعل، الضحية، المؤثر ودور المحسن والذي ينجز فعل «التقهقر». انظر: Brémond (Claude), *Logique du récit*, op. cit.

3. خلاصات.

إن العودة التي قمنا بها للمقاربة الاستنباطية تسمح بتدقيق، ولو بصفة مؤقتة، تصورنا لتسريد الخطاب. النحو السردى يولّد مواضيع سردية (= «محكيات») يتم تصورها مثل مسارات سردية منتقاة من أجل التمثّل. هذه الأخيرة تعدّ محدّدة بتوزيع خاص للأدوار العاملة ممهورة بجهات، ومحدّدة بمواقعها الخاصة في إطار البرنامج السردى. الموضوع السردى، بامتلاك بنيته النحوية، يصبح مستثمراً، نتيجة تمظهره داخل الخطاب، بمحتواه الخاص. الاستثمار الدلالي يتم بالانتقاء، المنجز بواسطة الأدوار العاملة، للأدوار التيماتية التي، ولإنجاز مفكاتها، تستثمر المستوى المعجمي للغة وتتمظهر على شكل صور تتمدد داخلها تصويريات خطائية.

الخطاب، منظوراً إليه من المستوى السطحي، يظهر هكذا مثل انتشار مركّبي مرصّع بالصور، متعدّدة المعنى، محمّلة بممكنات متعدّدة مجتمعة عادة داخل تصويريات خطائية مستمرة أو البعض فقط من هذه الصور، القدرة على تحمّل أدوار عاملية، تصبح مشيئة على شكل أدوار تيماتية: تحمل، إذّا، اسم الفواعل. الفاعل هو، إذّا، فضاء الالتقاء واتصال البنيات السردية والبنيات الخطابية، لالتقاء واتصال المكون النحوي والمكون الدلالي، لأنه مسؤول على الأقل، وفي الوقت ذاته، على دور عاملي وعلى الأقل على دور تيماتي، وهما يحدّدان قدرته وحدود فعله أو حدود كينونته. وهو في الوقت نفسه فضاء استثمار لهذه الأدوار، ولكن يعدّ أيضاً فضاء لتحويلهم ما دام أن الفعل السيميوطيقي، بصفته فعلاً إجرائياً في إطار المواضيع السردية، يتعلق بالأساس بلعبة الامتلاك والفقد، التحويل

وتبادل القيم، الجهمية أو الأيديولوجية. تظهر بُنية الفواعل، حينئذٍ، مثل بنية طوبولوجية: بانتمائها في الوقت ذاته إلى البنيات السردية والخطابية، لا تعدُّ سوى فضاء لتمظهرها، دون الانتماء في الواقع إلى هذه أو إلى تلك.

الباب الثالث

دراسات سيميائية تطبيقية

الفصل الأول

البحث عن الخوف⁽¹⁾

تأملات في مجموعة من الحكايات الشعبية

ملاحظات أولية:

التأملات التالية تقدّم على شكل تحليل قبلي ولا يمكن أن تعتبر سوى مثل اقتراحات أو فرضيات. إنها تسير في اتجاهين مختلفين: (أ) إنها ترمي إلى تنمية معرفتنا بالنماذج السردية؛ (ب) ترغب في الإسهام بتقديم بعض العناصر للمشكل، الصعب والدقيق، مشكل العلاقات التي يمكن أن توجد بين الفولكلور والميثولوجيا.

المتن الذي تستند إليه هذه التأملات يتكون من ثلاث وثلاثين من روايات الحكاية الشعبية اللتوانية^(*) التي تعدّ تيمتها الرئيسة: مغامرات البطل الذي لا يخاف⁽²⁾. هذه التيمة المنتشرة بشكل كبير

(1) كُتبت هذه الدراسة تكريماً لكلود ليفي ستروس.

(*) النصّ مقتطف من كتاب أ. ج. غريماس: في المعنى. انظر:

Greimas (A. J.), *Du sens*, op. cit., pp. 231-247.

(2) خمس روايات لهذه الحكاية توجد في مؤلف ج. باسنفتشيس

(J. Basanavičius)، شيكاغو، 1905. ندين بالباقي من الروايات إلى =

تشكّل جزءاً من المصورات والحبكات الشعبية لعموم أوروبا: هذا يعفينا من تقديم نصّ الحكاية - هنا - نفسها، ويسمح لنا بافتراض أن الاعتبار المتعلّقة بالبنية السردية لها امتداد أكثر عمومية. في الوقت الذي، مع ذلك، يكون فيه المحتوى «العجيب» أو الأسطوري للحكاية موضوع تأمل، فإن الخلاصات التي يتم استنتاجها، تكون لها صفة حصريّة ولا تطبّق سوى على السياق الثقافي اللتواني: إذا كانت هناك تعميمات، تقاربات مع وقائع تنتمي إلى المجال الأوروبي أو إلى الميثولوجيا الهند، أو أوروبية تعدّ أحياناً ممكنة، فإنها تخرج عن إطار هذه المحاولة⁽¹⁾.

1. البنية السردية:

من بين وسائل استكشاف مجال غير معروف، الانطلاق، بداهة، من المعروف. والحال، أن ما نعرفه حتى الآن بشكل جيد في مجال الحكاية الشعبية، يأتي من بروب الذي حلّل مجموعة الحكايات الروسية التي تُجمّع، تقليدياً، تحت تسمية الحكايات العجيبة. هذه الخاصية «العجيب»، تمتلكها المجموعة الصغيرة من الحكايات التي تنصبّ حولها تأملاتنا. تمتلكها بشكل مشترك مع الحكايات المستكشفة من لدن بروب: نفكر بأن حكايتنا لا تعدّ سوى

= الجميل الذي خصصنا به معهد اللّغة والأدب اللتواني لأكاديمية العلوم اللتوانية، حيث تمتلك الوثائق سبعاً وعشرين من الروايات الأخرى المخطوطة، ورواية أخيرة نشرت بترجمة بولونية.

(1) نعرّف بجهلنا لمحتوى الكتاب المهم الذي خصصه م. إيفانوف وتوبروف للميثولوجيا البيلاروسية، القرية جداً من الميثولوجيا اللتوانية.

مجموعة تابعة لهذا النوع: «العجيب». لسوء الحظ، إن خاصية العجيب، نفسها، في الحكايات، لم توصف، فعلاً، من لدن بروب، وهو ما يفضي إلى نقص في المعرفة الكافية بسننها (الفضاء الدلالي الذي تتصل به)، يضاف إلى هذا أن من بين العناصر الأصلية لتحليل بروب هي التي تكمن، بالتدقيق، في التحديد الشكلي للحكاية (حيث يعتبرها مثل نوع خاص، مثل واحد من بين الأنواع الممكنة للبنية السردية) باستقلال عن المحتوى الخاص بها.

في محاولتنا لاستثمار اكتشاف بروب، حاولنا إبراز المقولات الدلالية الرئيسة التي تمنح إطارها الشكلي للبنية السردية⁽¹⁾. أيضاً، هل سيكون من المفيد إعادة تناول، الواحدة تلو الأخرى، المقولات الرئيسة المعروفة، لننظر كيف أنها تسلك سُبُلًا داخل محكي الإنجازات الباهرة للبطل الذي لا يخاف؟

1-1: البطل والنظام الاجتماعي.

الوضعية الأولية للحكاية العجيبة تبدو وكأنها تشمل عدداً من الثوابت:

1. يتأكد داخل الحكاية العجيبة وجود نظام اجتماعي يتمظهر بواسطة التمييز بين الفئات العمرية، ويتأسس على الاعتراف بسلطة القدماء.
2. تتميز الوضعية الأولية باختلال هذا النظام، الناجم عن

(1) انظر كتابنا: علم الدلالة البنيوي، باريس، لاروس، 1966؛ وبخاصة الفصول الثلاثة الأخيرة التي تعالج البنيات السردية.

طرده من إقامته من دون مهمة، هذا يبرز غياب المرسل ويحرم البطل من خاصيته المكتسبة طبيعياً، وهي خاصيته بصفته مرسلًا إليه. محور مرسل/مرسل إليه غير متمظهر إذًا، ولا يمكن أن يؤسس البحث. البطل يعدُّ، هكذا، بمعنى من المعاني، تجسيداً للإرادة وللحرية الخالصة للفعل.

2. أولوية المحور ذات/موضوع لا يمكن إلا أن تحدث مركبات لعوامل يكون السارد أول من يتضرر منها. وهكذا، إن البطل من دون عقد يصبح مرسله الخاص: أثناء إنجازاته، لا يرفض فقط المكافأة، ولكنه يكافئ هو نفسه هؤلاء الذين يعيّنون له أين يستطيع أن يجد الخوف. هناك تركيب الذات والمرسل. فضلاً عن هذا، إذا كان موضوع البحث هو الخوف، هذا يدلُّ على أن الذات تبحث عن شيء ما أو عن شخص ما - مجازياً أو بشكل مباشر - يسبب له الخوف، بمعنى أنه يبحث عن شخص معين يستطيع أن يتعرف فيه إلى السلطة. إن بحثه يعدُّ، عامة، بحث المرسل: هناك، إذًا، تركيب للموضوع وللمرسل.

بمتابعة هذه البرهنة، نستطيع أن نقول إن الرغبة في إيجاد المرسل تتضمن رغبة في أن يصبح مرسلًا إليه: البحث، إذًا، هو البحث عن العقد.

1-3: الاختبار: انتصار أو فشل.

تحليل البنية السردية من لدن بروب، أنتج وجود، إلى جانب العقد، مركب سردي آخر عميق: الاختبار. بمجرد ما أن ذهب في رحلة بحث، أنجز البطل مجموعة من الإنجازات، وهي مدرجة بطريقة

معينة، يجب أن تبلغ الانتصار الذي يتبعه امتلاك موضوع الاغتراب. هذه المجموعة التابعة من الحكايات تمتلك، من دون شك، هذه البنية المركّبة الأولية المحددة على محور الرغبة: الرغبة تكون، طبعاً، على مستوى السلوك الخارجي، علّة وجود قتالية بطلنا وإرادته في الانتصار. ليكون حقيقة البطل، يجب أن يرغب في الانتصار، بل حتى في نوع المحكيات التي نتخذها مرجعية يجب أن يكون منتصراً.

والحال، أن الخوف هو موضوع بحثه والاختبارات التي يبحث عنها يتمّ تصورها كلها من أجل أن تحدث لديه الخوف. المعاكس في هذه الاختبارات لا يمكن أن يكون سوى المرسل المحتمل (أو انبثاقه، تمظهره الإلزامي). إن الوضعية التي يؤول إليها المحكي تعدّ، إذاً، مفارقة: يجد البطل نفسه أمام ضرورتين متناقضتين، يجب أن يرغب في الانتصار، لكن بمجرد ما يصبح منتصراً، لن يبلغ موضوع بحثه؛ لينجز مهمته يجب أن يكون منهزماً؛ غير أنه، إذا كان منهزماً، يتوقف عن أن يصبح بطلاً. مبدآن يتحكّمان بشكل متوازٍ في هذا النوع السردى: أ) الصفة البطولية للبطل (قاعدة البنية العاملة) ب) ضرورة، بالنسبة إلى المحكي، أن تكون له نهاية، بمعنى إنجاز الاختبار بالحصول على الموضوع (قاعدة البنية الوظيفية)؛ والمبدآن يبدوان، في هذه الحالة، أنهما يلغيان بعضهما البعض بشكل متبادل. المشكل، منذ النظرة الأولى، يبدو من دون حلّ، ويمكن، أيضاً، أن نتساءل ما إذا كان نوع المحكيات، موضوع التأمل، يعدّ خاصاً بتمظهر مثل هذه المحتويات. سنعود إلى هذا الأمر.

يجب أن نسجل على كل حال حيرة السارد وهو أمام هذا التناقض. لقد كانت لنا فرصة رؤية، في مكان آخر، من وجهة نظر

السارد، أن توليد المحكي يُلزمه بأن يأخذ بعين الاعتبار، في الوقت ذاته، التساوقات واللاتساوقات بين هذه البداية ونهاية المحكي، وأنه من الصعب أن نأخذ بعين الاعتبار النهاية كما هو الأمر بالنسبة إلى البداية، على الأقل، لأن عدد المتغيرات التي تجب السيطرة عليها يعدُّ مرتفعاً.

من الطبيعي، نتيجة لهذا، أغلب الروايات لحكايتنا تفضّل البطل المنتصر بدل انتصاره النهائي (أي، إجمالاً، بدل فشله) وأن الحكاية تخضع، أثناء سيرورة السرد، إلى انحراف يؤدّي إلى نسيان موضوع البحث، وفي الوقت نفسه نسيان غايته: البطل، المنتصر على فلنياس (= الجن)، يكافأ على نجاحه ويحصل على بنت الملك وعلى مقاليد السلطة. فقط ست روايات من بين ثلاثة وثلاثين المعروفة، تتذكر الهدف الذي رسمه البطل لنفسه، وتضيف إلى المحكي مقطعاً - ختامياً من دون علاقة - على مستوى البنية السردية السطحية مع المحكي، نفسه، ولكنها تحاول إنقاذ، بهذه الطريقة غير المعيارية، بُنيته العميقة.

نلاحظ أن قلب الوضعية الأولية التي تُحدث الاستبدال المركّبي للّبنيات السردية - وذلك بوضع العقد بعد وليس قبل الاختبار - له نتيجة إثارة التناقضات البنيوية ويفضي في النهاية إلى فشل المحكي، منظوراً إليه في إطاره الشكلي.

1-4: الفضاء البطولي: العجيب أو الأسطوري؟

هناك عنصر بنيوي أخير يدخل في تحديد المحكي بصفته نوعاً: الانفصال المكاني. المحكي يتحدّد، ضرورة، على تشاكين مختلفين

ومنفصلين: الفضاء الذي يقام عليه المجتمع، والفضاء الذي يُنجز داخله البطل إنجازاته. هذا الفضاء البطولي - هو الذي يتحدّد داخله تقريباً كل «عجيب» الحكاية المحلّلة من لدن بروب - يعدّ فضاءً مغلقاً، ويجد نفسه محدّداً بإشارية اجتماعية تطبعها عودة البطل. في تعالق مع /هنا/ اجتماعي، فإن /الهناك/ هو الذي يسمح بتوحد البطل وإنجاز تحويلات القيم التي تنعكس لاحقاً، بعد عودته، على الكينونة القيمة للمجتمع.

المجموعة التابعة للحكايات التي تتأملها تعدّ، على النقيض من ذلك، متّسمة باللاعودة للبطل. فيما عدا بعض الاستثناءات، فإن ذهاب البطل يعدّ نهائياً، كيفما كان الحلّ النهائي الذي يجده السارد من أجل إنهاء الحكاية. ويعدّ هذا، فضلاً عن ذلك، متماسكاً لأن البطل هو النافي للقيم التي يتأسّس عليها المجتمع: السلطة المدنسة ممثلة بالأب والسلطة المقدسة التي يعدّ مالكها هو الأسقف، لا تعدّ سوى متصنّع مخيّب للآمال. تنقصه من جهة أخرى، من أجل أن يكون بطلاً سرّياً، الرغبة في تحويل المجتمع.

لقد رأينا أن ذلك ينتج عنه، على مستوى السرد، انحراف للمحكي. بما أن الأمر يتعلق ببطل من دون عقد ومن دون التزام بالعودة، لا يمكن إلا أن يولد حكاية ثانية من دون علاقة مع الأولى. غير أن هذا المحكي الثاني، المنفصل بهذه الصيغة، قد فقد، نتيجة لذلك، غائيته. إنجازات البطل - رغم أنها مركّبة من رواية إلى أخرى، وفق بعض المبادئ البسيطة للتدرج - تظهر نتيجة هذا مثل مراحل منقطعة يمكن أن ننظمها داخل سلسلة واحدة، مثل «وقائع وإشارات» مجانية لبطل (حيث تكون أنشطته تشكيلة من

التمظهرات التوقعية توضّح طريقته في الوجود بشكلٍ مستمر، وتحيل على «طبيعته»، وليس مثل اختبارات تعبّر، بطريقة مؤنسنة، عن تحولات المحتويات الأساسية). بعبارة أخرى، المحكي الثاني المحدّد على الفضاء البطولي، يظهر وكأنه يستجيب، إذا جمعنا مجموعة الروايات المعروفة، لتحليل وصفي، تصنيفي، أكثر مما يستجيب لتحليل وظيفي وأيديولوجي.

هكذا، هل يمكن أن نتساءل ما إذا كان القلب المرگبي الذي سبق وأن تمّ اعتباره وملاحظته، يلازمه تحول مماثل للقيم الممنوحة لتشاكلي المحكي؛ وما إذا كان الفضاء المغلق للمحكي ليس هو فضاء الإقامة القصيرة للبطل داخل المجتمع البشري الذي تكون له داخله وظيفة التذكير، بنفي القيم المثبتة، بوجود نسق آخر ممكن للقيم. «العجيب» الذي يعد شيئاً خارجاً، يتخذ، هكذا، دلالة الأسطوري الكلّي الوجود.

من دون الذهاب بعيداً، نصوغ الفرضية الآتية: الحكاية التي نتأمل تحتوي على محتوى أسطوري، سابق أو منتشر، متمظهر بواسطة بُنيات سردية اتفافية غير ملائمة له كلياً. مجموع مقاطع المحكي، المحدّدة داخل الفضاء الأسطوري للحكاية (منظوراً إليها بكلّية رواياتها)، تُكوّن عناصرَ جرد، رغم أنه غير مكتمل، يجب، مبدئياً، أن يسمح بإعادة التكوين الجزئي للسنن الميثولوجية.

هكذا إذاً، بحصرنا لمدى تأملاتنا في السياق الثقافي اللتواني لوحده، نحاول أن نرى ما هي عناصر الكون الميثولوجي التي يمكن أن نستخلصها من الحكاية المعينة وما هي الإجراءات التي يمكن أن تستعمل من أجل هذا الفعل.

2. الكون الأسطوري:

2-1: الفضاء الأسطوري.

سفر البطل يدخله داخل فضاء مخالف تماماً للفضاء الذي قام بمغادرته.

1. يتصل الفرق الذي يعدُّ أكثر إدراكاً بالتوزيع الخاص للكائنات البشرية إلى طبقات وفق مقولة حياة/موت، والتي تعدُّ من نمط ثلاثي: إلى جانب عالم الأحياء، يوجد عالم للأموات، وعالم يتحدّد بين الاثنين، عالم الأموات-الأحياء، عالم الأرواح (الأرواح الميتة التي تحيا حياة بموازاة مع حياة الأحياء، ولها حضور بدني). إلى جانب الأرواح، تشارك، في هذه الحياة، الشياطين (وهم الذين يلتبسون جزئياً مع الشياطين المسيحيين)، وسيدهم جميعاً فلنياس.

2. خاصية ثانية لهذا الكون تقربه من الأكوان الأسطورية الأخرى: صناعة الكائنات تظلُّ صورية وغير ضرورية: لأنه إذا كانت طبقات الكائنات توجد في حدّ ذاتها، فإن الكائنات الخاصة تعدُّ قادرة على التحول من طبقة إلى طبقة أخرى (وهكذا، إن الأحياء يتحولون بواسطة السحر إلى طبقة الأموات-الأحياء، الأموات-الأحياء يتحولون إلى طبقة الأموات، والعكس بالعكس). هذه التحولات لا تتوقف على الإرادة الحسنة للكائنات ذاتها، ولكنها تتوقف فقط على إرادة الشخصيتين الرئيسيتين للحكاية: فلنياس (و، تفويض للسلط، معاونوه) والبطل الذي لا يخاف.

الحدّ الذي يفصل عالم الأحياء عن عالم الأرواح يمكن أن يرسم بواسطة مقولات زمنية (ليل/نهار) أو مكانية (أعلى = العالم

ما تحت الشمس ضدّ/أسفل = العالم تحت أرضي) أو بتوليفات مختلفة من المقولات. هذا الحدّ يظلّ، في كل الحالات، نسبياً: حينما يلتقي رجل، في واضحة النهار، رجلاً آخر لا يعرف في مواجهة من يكون: هل هو في مواجهة حي، أم في مواجهة روح من الأرواح أم في مواجهة سيدهم جميعاً (فلنياس). المعيار الوحيد الذي يبدو ملائماً لتمييز حي من الأحياء هو الخوف الذي يحسّ به تجاه غير الأحياء. من وجهة النظر الوحيدة هذه، البطل الذي لا يساوره الخوف من أي شيء لا ينتمي إلى طبقة الأحياء. أكثر من هذا: إنه الذي ينفي، قصدياً، وفي كل الظروف، وجود الحدّ بين العالمين؛ سلوكه يعدّ هو نفسه مع الجميع: لا المظاهر الغريبة، ولا الأفعال غير العادية، تذهله؛ والكلمات التي يوجهها تعدّ دائماً موسومة برأي قبلي لحالة سوية. البطل يشترك، إذًا، في حياة مزدوجة؛ انفصال الحياة والموت لا يهمه.

هذا التصور للحياة والموت يعدّ مطابقاً لمعتقدات لتوانية ما زالت سارية خلال القرن التاسع عشر: مشاركة الأرواح في الحياة العادية تجري بيسر؛ العالم الثاني كان معروفاً من لدن طبقة من العرفانين (يوجد من بينها، مثلاً، هؤلاء الذين ولدوا ما بين الخميس المقدّس وأحد الفصح، ولكن نستطيع أن ندخله بواسطة تقنيات دقيقة). العجيب في الحكاية الشعبية يختلط، إذًا، كلياً مع الواقع الأسطوري؛ جدّة الحكاية لا تكمن في كون أن البطل يستطيع دخول هذا الكون الأسطوري، ولكن في القدرات الهائلة التي يمتلكها من دون أي تأهيل سابق. يبدو لنا أن هذه الواقعة تشكل حجة لفائدة الفرضية المقترحة.

2-2: من أجل الاستعمال الجيد للبنىات السردية .

الفضاء الذي ينمو داخله البطل يتقدم بصفته كوناً، بنسبة كبيرة، ماقبل مسيحياً، حيث لا يوجد لا التقابل الاثنائي للحياة والموت، ولا ثبوتية التصنيفات الأنطولوجية؛ يمكن أن نحاول رؤية ما إذا كان سلوك البطل وسلوك معاكسيه يسمح بتعميق المعرفة بهذا الفضاء. يرمي الإجراء الذي ستتبنى داخل هذا التحليل الأولي إلى:

1. اعتبار المقاطع السردية في ذاتها، باستقلال عن موقعها داخل كل حكاية-حالة وعن الدلالة الوظيفية التي تكتسبها نتيجة هذا الوضع، وإلى جمع المقاطع المماثلة والموزعة داخل روايات مختلفة، من أجل أن نكون (على طريقة تحليل السلسلة، المستعملة في اللسانيات) مقطعاً موحداً يكون الأطول والأشمل قدر المستطاع؛
2. استعمال، جزئياً فقط، التنظيم المقطعي للمحكي، من أجل إظهار السنن وليس الإرسالية. نظرة أولى سطحية على التركيبات النمطية للحكايات-الروايات، تسمح بتعرف نوعين من التنظيمات المقطعية:

(أ) البنية الاثنائية: البطل يلتقي أولاً بالأرواح، ولاحقاً، فقط، يجب أن يواجه فلنياس؛

(ب) البنية الثلاثية التي تتمظهر على الشكل المعروف جداً، التثليثات؛ البطل ملزم، مثلاً، بقضاء ثلاث ليالٍ متعاقبة داخل مكان معين، وتحمل، داخل هذا المكان، مجموعة من الاختبارات المتدرجة.

في الحالة الأولى، التصعيد في المحكي، يمكن أن يؤوّل تصنيفياً مثل ظهور علاقة سلمية بين الأرواح وبين الأسياد، وتسمح،

مقاربة فيما بينها، الواحدة من الأخرى) يذهل بطابعه اللامنتظر والشاذ تقريباً. لنلخصه بإيجاز:

1. ظهور فلنياس هو على النقيض من الجحيم المؤلف باستلهام مسيحي: فلنياس هو شيخ مسن بقامة عالية، ولحية طويلة بيضاء تسترسل حتى الركبتين.

2. الاختبار الذي يتفوقون سلفاً من أجله، تمّ داخل مسبك تحت-أرضي، وليس داخل الفضاء المسحور الذي يتم داخله انتظار البطل: المواجهة تتطلب، إذًا، انفصلاً مكانياً حقيقياً.

3. العقد المبرم بين الفاعلين الرئيسيين يتوقع أنه في حالة انهزام البطل، سيفشي له فلنياس سر الخوف، غير أنه سيدفع حياته ثمناً لذلك. سيقبل البطل بالعقد، دون أن يؤثر ذلك في شيء في رغبته في الانتصار: فلنياس يعترف، زد على ذلك، أن معرفة الخوف، المجازي عليها بالموت، لا تتصل بالعالم الذي يترّبع على عرشه.

4. المواجهة تصبح اختباراً للقوة: ولكن، من خلال اتفاق مشترك، المصارعة بأيدي عارية، تصبح مُلغاة لفائدة مواجهة تتّم بواسطة أدوات: الفأس (أو المطرقة) والسندان. والبال أن البطل، في روايات متعددة، يقدّم مثل حدّاد؛ شكل المصارعة المختار لا يضع فقط المصارعين على قدم المساواة، ولكنه يبيّن أنهما يشتركان في دائرة الفعل نفسها ودائرة القوة نفسها.

5. يخرج البطل منتصراً من الاختبار، ليس فقط لأنه يغرز عميقاً السندان داخل الأرض، ولكن لأن لحية الشيخ المسن تجد نفسها ملتصقة بالثقب الذي عالجه داخل السندان. الانتصار لا

يأتي، إذًا، لا من قوة فيزيائية عالية ولا من عملية سحرية معيّنة، ولكن من المهارة الوحيدة للبطل.

لدينا انطباع أننا نشاهد مجابهة بين سيدين حدّادين تعدُّ مظاهر قوتها متماثلة كما أن مجالات الفعل يتناول بعضها على الآخر.

2-4: البطل الثقافي.

إننا بتفكيرنا في هذه المجابهة يجب أن نعتبر أحداث الليالي السابقة. إنجازات البطل تظهر، من ذلك الحين، مثل براهين عن معرفة-فعل معيّنة، أكثر مما هي اختبارات-صراعية. عددهم وتوزيعهم يتغير، فضلاً عن ذلك، من رواية إلى أخرى، لذلك سنأخذ مثل نقطة مرجعية المساعدين الذي يختارهم البطل من أجل أن يقضي ثلاث ليالٍ داخل القصر المسحور. هؤلاء المساعدون الذين هم بعدد ثلاثة:

1. النار.

2. منضدة العمل.

3. محك للصقل.

يوافقون ثلاثة إنجازات للبطل؛ اثنان من التلثيات - ثلاث ليالٍ يجب قضاؤها داخل الفضاء المسحور، ثلاثة اختبارات يجب الخضوع لها - لا تتراكم، إذًا، وتترك فصل الصراع مع فلياس، خارج بنية هذه الإنجازات التهيئية.

وظيفة المساعدين في التنظيم العاملي للمحكي تقضي بأن تستخدم مثل مظهرات متلازمة، مثل تجسيدات خارجية على شكل

موضوعات أو كائنات، صفات للطبيعة العميقة للبطل؛ وهكذا، إن هؤلاء المساعدين، في كليتهم، يتقدمون مثل أدوات أستاذ من أساتذة الفنون والمهن، مثل امتدادات تقوم بوظيفة توسيط القوة المتصلة ببطل العالم الثقافي.

الاختبارات التي يتخذ داخلها هؤلاء المساعدون موقعاً، لا تعمل سوى على تأكيد هذا الانطباع الأول. يعوزنا المجال من أجل أن ننقلها بإسهاب: وهكذا، إننا لن نعمل سوى على استخلاص العناصر التي تبدو لنا دالة على وجه خاص.

1. منضدة العمل تصلح للبطل في القبض داخل الشرك (من أجل قتلها ورميها في البركة) على قطتين سوداوين (بداهة هما شركاء فليناس) وذلك بتوثيق أرجلها من أجل تقليم أظافرهما: يقبل البطل باقتراحهما القاضي بلعب الورق، غير أنه يقنعهما أولاً، لأسباب تتصل بالتقاليد، بالقيام بإزالة أظافرهما بنفسهما.

2. المحك يصلح لصقل جماجم الأموات التي يستعملها زوّار الليل الغريباء أثناء الليلة اللاحقة من أجل لعب لعبة الكرات، باستعمال القصبة الكبرى (عظم الفخذ) مثل قطع اللعب في لعبة القمار. هنا أيضاً، وقبل المشاركة في اللعب، يحوّل البطل إلى موضوعات ثقافية رؤوس الأموات التي تبدو دلالتها غامضة إذا لم نجدها في مقاطع أخرى (الرأس في المورفولوجيا الأسطورية للجسد هي الإشارة التي نضع فيها المبدأ الحيوي للروح: من أجل أن تعاود «الحصول على السلم»، يجب أن نقطع لها الرأس وأن نضعها، داخل الثابوت، بين الساقين، وإلا فإنها ستمضي ليالها في الدوران وهي تصيح داخل المقبرة). رغم أن السياق لا يعدّ واضحاً،

قطع. (غضب هذا الأخير وصراعه من أجل الحق في الجلوس على المقعد، قريباً من النار - وهو واحد من بين التمثّلات اللتوانية المشتركة للموت الهادئ - عناصر تبيّن أصوله وصيغته المفضلة من أجل الموت الحقيقي).

تحولان نحو الحياة، تحولان آخران نحو الموت - من بينهما تحول يعدّ مطابقاً لرغبات المعنى بالأمر، والتحول الآخر هو ضدّ إرادته: تمثل هذه العناصر مجموعة مقنعة.

2-6: بطل أم إله؟

إذا كنا قد شدّدنا، بخاصة، هنا على الوقائع وسلوكات البطل، باعتبار سلوكاته مثل علامات كاشفة عن طبيعته، وحاولنا تعميق معرفة هذا البطل من دون اسم، الذي تعدّ شعاراته الوحيدة هي الأفعال، فلأن معاكسه، فلنياس، سيد السحر، يعدّ معروفاً لدينا. مجابهتهم النهائية تأخذ بروزاً أكثر: انطلاقاً من أنهما من قوة تقريباً متساوية، فإنهما يحتلان، داخل سُلّمية الكائنات، مرتبة مماثلة.

إنهما سيدان متمتعان بسلطة عليا، سلطة الحياة والموت: السلطة التي تظلّ حتى اليوم، أيضاً، بالنسبة إلى رؤساء الجمهورية، الرمز الجلي للسيادة. هذه السلطة تظهر بواسطة استعمال تقنيات مماثلة غير أنها مختلفة: المهارة تقابل السحر. كل واحد يمتلك مجالاً خاصاً به من أجل ممارسة سلطته:

الواحد يُهيمنُ على الحياة قبل الموت، وعلى العالم الشمسي.
الآخر يُهيمنُ على الحياة بعد الموت، العالم الليلي والعالم

التحت أرضي؛ غير أن الواحد يتناول على مجال الآخر، ويتابع صراعاً لا توجد مبررات لأن يتوقف.

يحقّ لآخرين أن يقولوا إذا كانت عناصر السنن الأسطوري كما تمّ إبرازها، تسمح بالقيام بخطوة أخرى إلى الأمام، وبإعطاء هذا العدو، فلنياس، الاسم الأسطوري لبركوناس: البطل، الذي هو أيضاً، يتابع، وفق مصادر أخرى، معركة أبدية ضدّ فلنياس. إذا كانت هذه الفرضية لها قيمة معيّنة، فإن عناصر بحثنا يمكن أيضاً أن تكمل ملف المقارنات بين فلنياس وفارونا⁽¹⁾.

3. الختام.

3-1: المكافأة تسبق العقد.

الأغلبية المطلقة من روايات هذه الحكاية تنسى الوضعية الأولية، وتختتم المحكي بانتصار البطل الذي يصبح وصي المملكة وصهر الملك. توجد، مع ذلك، ست روايات تظلّ محتفظة بغائية المحكي، وتسمح للبطل بأن يلتقي بالخوف في مقطع إضافي، من دون علاقة سرديّة ظاهرة مع جسد المحكي.

فيما يتعلق بهذا الختام، موقفان ممكنان: يمكن أن نعتبره مثل عقلنة فكاهية، أو مثل بقايا شطر ثانٍ للمحكي يمكن، إذا ما أمكن بناؤه من جديد، أن يكشف لنا ربما مفتاح سلوك أسطوري. إن

(1) هذه المعادلة تمّ التذكير بها من لدن رومان ياكبسون الذي استعارها من سوسير من أجل تطويرها، والذي نشكره هنا لكونه كان مصدر هذه التأملات.

ضمور المواد التي توجد رهن إشارتنا، المعرفة غير الكافية لعناصر النسق الميثولوجي، تجعل إعادة البناء هذه مجازفة قوية. سنحاول، على الرغم من ذلك، أن نجمل الخطوط العامة، لأن حذف هذا الفصل سيعرّض القراء الذين ليس لهم اتصال مباشر بالمصادر اللتوانية إلى الوقوع في الخطأ؛ من جهة أخرى، رهان محاولة إعادة البناء يعدُّ كبيراً: يتعلق الأمر بالتساؤل ما إذا، انطلاقاً من المعطيات البنيوية الوحيدة، كنا نستطيع أو لا نستطيع توقع نقطة اتصال تتحدّد داخلها ألوهية ثالثة للربوبية اللتوانية (لقد سبق أن تمّ الإعلان عن أن هذه الربوبية يجب أن تمتلك بنية ثلاثية، غير أن هذا الكلام يعتبر، عامة، مثل إبداع رومانسي). والحال أن فصلاً فكاهياً يرمي إلى إحداث الخوف عند البطل وذلك بأن صبّ عليه، أثناء نومه، سطلاً من الماء البارد، يتخذ دلالة جديدة، بمجرد أن، بدلاً من أن نعالجه بشكل منفصل، ندمجه داخل جسد المحكي الأسطوري. انطلاقاً من هنا، فعلاً، الوصاية التي يحصل عليها البطل، مكافأة له على انتصاره على فلنياس، لا تمارس داخل المجتمع البشري، ولكنها تعبّر، بالأحرى سنرى ذلك، عن سلطته بصفته سيداً للعالم (الشمسي).

للعقد المختوم بالزواج، ينقص مكون من المكونات التعاقدية، المرسل: البطل يستمر، فضلاً عن ذلك، في التماس الخوف، وهذا النداء، الذي يقدّم مثل فكرة مهيمنة، هو الذي يجعل زوجته تقرر القيام بالفعل. بنت الملك تعدُّ، نعرف ذلك، الموضوع الذي يفضي نقله إلى ختم العقد. غير أنها تعدُّ، في الوقت ذاته، موضوع رغبة البطل، أي الممثل المجازي للمرسل الذي هو سيد الخوف. إنها

إلى ثلاث صيغ متميزة للأشكال الممكنة للوجود البشري، على صناعة للمعقول تنظم الحياة الزاخرة والمتحولة. حكاية البطل الذي لا يخاف، تصبح، إذًا، محكي تشييد النظام المقدّس، الذي يعدّ، في الوقت ذاته، إلهياً وبشرياً.

لا نعرف نحن، أنفسنا، ما يجب التفكير فيه حول هذه الفرضيات. السارد - أو الناقل - لواحدة من بين هذه الحكايات، بروسي وطني، شجاع على طريقة القرن التاسع عشر، يختم المحكي بالإشارة إلى أنه يوجد، للأسف، عدد كبير من الناس الأغبياء الذين يخشون الماء البارد. خوف طبيعي أم ثقافي؟

الفصل الثاني

التحدي⁽¹⁾

رودريك، هل لك همة⁽²⁾؟

إذا قبلنا بأن التمييز التجريبي بين فعل الإنسان. حول الأشياء وفعله حول الإنسان، يوافقه، على المستوى السيميوطيقي، التمييز الذي ينهض تارة على مقولة التعدية (فعل الكينونة)، وتارة على مقولة التفعيل (فعل الفعل)، سنكون ملزمين باستخلاص من كل خطاب للتحليل مقاطع تُظهر، بطرق مختلفة جداً، عناصر التفعيل، وبالبحث عن بناء، بإبرازهم جيداً، نماذج التسخير القابلة لاستعمال يمكن تعميمه.

1. إطار مفاهيمي.

يكون الفعل التفعيلي، هكذا، أحد العناصر المحددة للتسخير،

(1) صدرت هذه الدراسة بكتاب: في المعنى II (1983). انظر:

Greimas (A. J.), *Du sens II*, op. cit., pp. 213-223.

(2) يقدم غريماس هذه الدراسة ببيت شعري من مسرحية السيد (1637) لبيير كورني (1606-1684). يتوجه فيه دون ديك إلى ابنه رودريك: هل لك همة أو هل لك شجاعة؟ وينطوي السؤال على قيمة ترتبط بمرجعية قيمة عناصرها هي قانون الشرف وروابط الدم، إذ يطلب دون ديك من ابنه غسل العار الذي لحق به.

بشرط، على الرغم من ذلك، أن يتعلق الأمر بفعل إدراكي وليس بفعل براغماتي: «الإكراه البدني»، مع أن فعل الإنسان على الإنسان لا يتعلق، لأول وهلة، بالتسخير، ولكنه يشبهه مع ذلك: التحدي الذي اخترنا أن نحلّه بتمعّن بصفته صورة من الصور التي تخصص التسخير: يتحدد بطبيعة الحال، تلقائياً وحسبياً، مثل «إكراه أخلاقي». هذا التحديد الحدسي لا يعدّ مع ذلك مؤكداً بواسطة المعاجم التي يعتبر التحدي بالنسبة إليها «إعلاناً تحريضياً ندل، بواسطة، لفرد آخر بأننا ننظر إليه مثل عاجز عن فعل شيء» (معجم روبير⁽¹⁾). المعجم، كما نرى، ينظر إلى التحدي مثل ملفوظ بسيط، من دون اعتبار الطبيعة الجهية للذاتين الموضوعتين هكذا وجهاً لوجه ولا العلاقة الخاصة التي يقيمها هذا الإعلان بينهما، وبكلمة واحدة، من دون الأخذ بعين الاعتبار مظهر «الفعل» لهذا «القول»⁽²⁾. وحده تفسير صفة «معرض» التي يتسم بها الإعلان يسمح لنا بالفهم أن التحدي هو أولاً فعل «حثّ أحد على القيام بشيء معيّن»، حيث المحمول، حثّ مع شبه المترادفات التصويرية دفع، قاد، سير، جر، التي نجدها من دون عناء، يظهر مثل التجسيد، على المستوى السطحي للخطاب، لمقولة التفعيل.

(1) المدخل المعجمي: *Le Petit Robert, Dictionnaire de la langue française*, «Défi».

(2) إحالة على كتاب أحد فلاسفة اللغة جون أوستن (1911-1960) من مدرسة أوكسفورد، وهو كتاب: (1962) *Quand dire, c'est faire*، الترجمة الفرنسية تمّت سنة 1970.

Austin (John, L.), *Quand dire, c'est faire*, Seuil, Paris, 1970.

منذ هذا الحين، يظهر هذا الحثّ أنه قادر على الاندراج داخل الإطار العام للعقد، وعلى الموافقة في هذا الإطار، بدقّة أكبر، للشطر الأول من هذا العقد، الذي هو اقتراح العقد الذي يمكن أن نصوغه بالطريقة الآتية:

عا 1 ← عا 2 \cap مو 1 [مو 2 (مو 3)]

حيث:

مو 1: موضوع إدراكي (المعرفة المنقولة)؛

مو 2: عا 1 \cap ق (إرادة الذات المسخّرة التي نرسلها إلى الذات المسخّرة)؛

مو 3: تحقيق (ب س ل عا 2) (موضوع الإرادة هو تحقيق، بواسطة عا 2، للبرنامج المنجز والمنقول من لدن عا 1).

هذه الإرسالية، نرى ذلك جيداً، ذات طبيعة إخبارية خالصة: إن معرفة إرادة عا 1 لا تلزم في شيء عا 2. إن اقتراح العقد يكون، إذًا، شرطاً إدراكياً محايداً يسمح، بدوره، بتصور الذات المتلقية للرسالة بصفاتها ذات سيادة على المستوى الجهي، حرة في قبول أو رفض هذا الاقتراح.

في هذا الإطار التعاقدي، يمكن أن يتأطر ويشغل التسخير.

2. الفعل الإقناعي.

بين الترهينين التعاقيدين - الاقتراح والقبول - يتحدّد الفضاء الإشكالي المكون من توترات ذاتية ومواجهات ضمنية: هنا ينجز الفعل الإقناعي والفعل التأويلي لكل من الذاتين، وهو ما يفضي، احتمالياً، إلى عقد يكون تارة مرغوباً فيه وتارة مرفوضاً. في حالة

التحريض بالتحدي الذي يهمننا في هذه اللحظة، الإرسالية الإقناعية للذات المسخّرة التي تصاحب اقتراح العقد، ترمي إلى أن تدل بالنسبة إلى الذات بأننا نستعد لتسخير النقص في القدرة لديه: هكذا، تعدّ الذات عا 2 مدعوة لإنجاز برنامج معين (ب س)، وفي الوقت نفسه مخطورة بلا كفايتها الجهية (مخطورة ب «عدم القدرة على الفعل») وذلك لإنجازها.

الملفوظ الإقناعي، بصفته موضوعاً للمعرفة، يتم نقله بواسطة عا 1 إلى عا 2، باتصال مع الملفوظ التعاقدي، يمكن صياغته كالآتي:

عا 1 ← عا 2 ∩ مو 1 [مو 2 (مو 3)]

حيث إن:

مو 1: حكم (يقين عا 1)؛

مو 2: موضوع معرفة (معرفة عا 1)؛

مو 3: عا 2 لا قدرة على الفعل (عا 2 غير متوفر على القدرة على

الفعل).

ملاحظة: إذا كان التقييم الجهي المعرفي للملفوظ الإقناعي واضحاً يجب أن لا ننسى أن الجهات المعرفية تعدّ قابلة للقياس: يمكن أن يقول المسخّر إنه «متأكد» لكنه يمكن أيضاً أن «يدّعي» أو «يوحي». مثال كورني الذي تمّ الاستشهاد به في الاستهلال يبيّن جيداً كيف أن تساؤلاً بسيطاً يدلّ على الشك يعدّ كافياً لانطلاق آلية التسخير. قوة الحكم المعرفي لا تتقدم، إذًا، مثل عامل حاسم بالنسبة إلى فعالية الإقناع.

الذات، وبأنه يعدّ سلبياً بشكل إلحاحي وغير عادل. هذا الاستباق للجزاء يجعل أنه بإمكاننا أن نعتبر الذات المسخّرة مثل فاعل مرّكب يجمع بين عاملين: المرسل الأمر والمرسل الحاكم. الصفة المعكوسة لحكمه تطرح، من جهتها، المسألة الصعبة لنظام أثر الحقيقة لهذا المرسل، الذي يكون الكذب أحد العناصر الأساسية في استراتيجيته.

3. الفعل التأويلي.

3-1: تواصل قسري.

يقوم ردّ فعل الذات التي توصلت بالإرسالية الإقناعية على وضع الإجراءات التأويلية. هذا الفعل التأويلي يجد نفسه، بالمقابل، مؤطّراً داخل شكل خاص من التواصل نصّطوح عليه بالتواصل القسري. طبعاً، في بعض الحالات التي يتوجب تدقيقها، المرسل إليه الذي تمّ التوجه إليه بنوع من الإرسالية، يجد نفسه ملزماً بالإجابة بإعطاء جواب عن الإرسالية التي توصل بها.

الأمثلة الموضحة لهذه الوضعيات تعدّ كثيرة. إن، أولاً وقبل كل شيء، المشكل العام والأكثر نقاشاً منذ زمن ليس بالبعيد؛ مشكل اللاتسيّس ومشكل عدم الالتزام؛ فمن المقبول أن كل رفض للالتزام هو في حدّ ذاته التزام سلبي. إنه أيضاً الحالة المثلى لصمت المسيح أمام المحاكم، لصمت الصديقان⁽¹⁾ لموباسان أمام إنذار الضابط

(1) Maupassant (Guy de), « Deux amis », in *Contes et nouvelles*, op. cit., p. 732.

وقد قام غريماس بتحليل هذه القصة تحليلاً مستفيضاً، مستثمراً فيه منهجية

البروسي: القسر يكمن، في هذه الحالات، في عدم إمكانية اختيار موقف الحياد، بالانسحاب بمعنى معين من سيرورة التواصل.

إلى هذا النوع من التواصل ينتمي التحدي الذي نبحث فيه، وربما إلى كل نوع من التحريض. موضوعه أمام إثبات عدم استطاعتها، الذات الخاضعة للتحدي، لا يمكن أن تملض من الجواب، لأن صمتها سيؤوّل، حتماً، مثل اعتراف بغياب الاستطاعة. وبعبارة أخرى، يجد نفسه أمام اختيار إرغامي: يمكن أن يختار، غير أنه لا يمكن ألا يختار⁽¹⁾.

إذا اعتبرنا أن الاختيار يعد قراراً، وأن هذا الأخير يعتبر فعلاً إدراكياً، نرى أن إلزامية الاختيار يمكن أن تؤوّل كما أنها تشكل جزءاً من القدرة الجهية للذات الخاضعة للتحدي، وأنها تعمل على تنميته جهياً، وفق جهة (القدرة على الفعل) المحددة على مستوى البعد الإدراكي الذي يحتل فيه، بدقة أكبر، موقع (لا قدرة على عدم اتخاذ القرار)، المماثل لـ (واجب اتخاذ القرار)⁽²⁾.

= التحليل الميكروسكوبي المقطعي، وقد كان يهدف من هذه الدراسة إلى إبراز فعالية المفاهيم السيميائية الإجرائية وقدرتها على استقصاء كل مكونات النصّ السردي: الزمنية، التفضية، الفواعل، العوامل... إلخ. لذلك منح الدراسة عنواناً دالاً: سيميوطيقا النصّ: تحليلات تطبيقية.

انظر:

Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte*, op. cit., p. 19.

Greimas (A. J.), *Du sens II*, op. cit., p. 201.

Ibid, « Pour une théorie des modalités », p. 67.

(1) .

(2)

لنَجُول. أمام الإرسالية المزدوجة التي بعثتها الذات المسخّرة - الإخطار بإرادته التي تنصبُّ على برنامج سردي محدّد وبلا استطاعة الذات المسخّرة على تحقيقه - المتلقي لا يمكن له أن يقبل أو أن يرفض العقد المقترح قبل أن يفصح عن رأيه في «التحدي» بالمعنى الخاص له. والحال، إننا نسلم بأنه يوجد في وضعية من استحيل عليه أن لا يفصح عن رأيه: أيضاً، هل يجب أن نحاول تفكيك الآلية التي أدّت إلى انطلاق هذا الاختيار القسري.

3-2: مواضيع الاختيار.

الذات الخاضعة للتحدي تجد نفسها، إذًا، أمام برهان ذي حدّين، وهو الذي تحدّده المعاجم بصفته «خياراً بين قضيتين متناقضتين تكون الذات بينهما مرغمة على التقيّد بالاختيار⁽¹⁾». الخيار البديل، في حالتنا، يتكون بين، من جهة، الملفوظ المنتج من لدن الذات المسخّرة عا 1، والذي يمكن أن نصوغه كالآتي:

عا 2 \cap لا قدرة على الفعل.

و من جهة أخرى، بين نقيضه، الذي يقوم العامل المسخّر ببنائه، بنفسه، بمعنى:

عا 2 \cap ق/ف = القدرة على الفعل.

برهان ذو حدّين، يمكن أن يصاغ كالآتي:

عا 2 \cap ق قرار (عا 2 \cap ق/ف/عا 2 \cap ق ف).

هذه الصياغة تعدّ، مع ذلك، غير صحيحة، لأننا حين نتفحصها بتمعّن، يتبدّى لنا أن العناصر التي تشملها التسمية الرمزية عا 2 تعدّ

(1) المدخل المعجمي «Dilemme»، انظر المعجم *Le Petit Robert*.

والعكس صحيح. في الوقت ذاته، إذا قام كاتب معيّن برفع التحدي الأميركي في وجه الفرنسيين، فإنه يقبل نفسه، ضمناً، ويوجب على قرائه الاعتراف بنسق القيم الأميركي: من دون هذا، إن التحدي لن يكون له معنى. مثال المسيح يمكن أن يصلح لحالة مناقضة. إذا كانت الصفعة التي تحدث عنها الأناجيل تعدّ تحريضاً وتحدياً، لا توجد ظاهرياً سوى إجابتين ممكنتين: إما الفعل بردّ الصفعة (وبهذا يؤكد قدرته على الفعل) وإما أن لا يفعل شيئاً (والقبول، نتيجة لذلك، بإثبات عجزه). والحال، أن المسيح سينصح بحلّ انحرافي: إعطاء الخدّ الأيسر. يتعلق الأمر هنا ليس فقط بفرض «اللعبة»، ولكن يتعلق الأمر، في الوقت ذاته، باقتراح سنن آخر للشرف.

لأننا نرى جيداً أننا يجب أن نتكلم، في كل هذه الحالات، عن سنن قيمي مشترك، وحينما يتعلق الأمر بإشكالية السلطة بسنن الشرف: ما يجبر في الماضي السيد النبيل على قبول المباراة، وما يجبر، اليوم، قاطع طريق ربيع مالاً وفيراً على قبول إطالة مباراة بوكر إلى حدّ خسارة آخر فلس، هو معنى الشرف، الكلمة التي لا تستطيع المعاجم فعلاً أن تطوّق المعنى الخاص بها.

يمكن أيضاً أن نقترح، بصفة مؤقتة، واحداً من بين التتمصلات المحتملة لسنن الشرف هذا، كما يمكن أن نحصل عليها بإسقاط على مستوى مربع جهة (القدرة على الفعل)، مع اعتبار أن العناصر الموزعة هكذا سيتم التعامل معها بصفته قيمياً جهيةً.

لأن الأمر يتعلق، في هذا النوع من الرضعات، تحت طائلة عقد قسري موافق عليه بحرّية - القسر المقبول لم يكن، رأينا ذلك، سوى ثمن الحرية -، بالحل المؤقت لحالة موسومة بالجدلية. التحدي هو مواجهة يتم الإحساس بها مثل شتمة.

إشكالية جديدة تفتح حينئذٍ أمام السيميوطيقي: تأتي من ضرورة وصف بنيات التسخير، حينما يتم صوغها على المستوى السيميائي - السردى «مقامياً»، مسجلة داخل إطار اشتغالها «التاريخي»، أي داخل الخطاب. عكس ما تفكر فيه، وعلى الرغم من استنزاف المعجم المتعلق بالشرف، فإن هذا المفهوم أصبح حياً أكثر من أي وقت مضى في مجتمعاتنا المعاصرة. دون أن نتكلم عن القوى الكبرى المنشغلة بـ «الحفاظ على ماء الوجه»، وأن نترك جانباً اللقاءات الرياضية الكبرى الأسبوعية التي يكون فيها الشرف الوطني موضع نزاع، فإن هذا المفهوم، غير المعين والضماني، و/أو المستتر عليه بعناية، يبلغ في أيامنا تنوعاً وشفاءً بشكل يظهر مثل أفضاظ الأبطال الكورنيين⁽¹⁾ وأكثر من ذلك أنداد شارلمان⁽²⁾.

إن تحليل الخطاب هو الذي يجب أن يسمح باستيضاح هذا الغنى: إنه الخطاب هو الذي، طبعاً بإدراج مقولات الشدة والزمينة، يسمح بالترتيب التدريجي للإقناع المفارق - لأن أدنى تشكيك في استطاعته يؤثر في الذات، موضوع التحدي - ولكن أيضاً بتمفصل، زمنياً، البنيات المتخلية التي تهَيّئ جواب الذات المسخرة، جواب

(1) نسبة إلى الشاعر المسرحي بيير كورني.

(2) شارلمان أو شارل الأكبر (742-814).

تكون آثاره الدلالية، تبعاً، من بين أشياء أخرى، للخطر الذي تجشّمه، لصعوبة المهمة، أو الإذلال الذي تحبّله، مضاعفة ومتنوعة. التحدي، وهو يدخل تنظيمات جهية معقدة نسبياً، يحتمل، كنتيجة، إخلالات استهوائية ليست بغير المهمة، وتتطلب بدورها استقصاءات جديدة في مجال سيميوطيقا الأهواء⁽¹⁾.

(1) سيميوطيقا الأهواء هي المبحث الذي ستنتج فيه السيميوطيقا على خطابات تصويرية أخرى مثل خطاب الغيرة أو الغضب. انظر العمل الأول الذي أنجزته السيميوطيقا في هذا الاتجاه.

Greimas (A. J.), Fontanille (Jacques), *Sémiotique des passions. Des états de choses aux états d'âme*, Seuil, Paris, 1991.

الفصل الثالث

الوصف والسردية حول قصة:

الخيط، لغّي دو موباسان⁽¹⁾

الخيط⁽²⁾

إلى هاري أليس

على كل الطرقات، حول كودرفيل، الفلاحون ونساؤهم، يتجهون نحو البلدة، لأن اليوم هو يوم سوق. الذكور، يسرون بخطوات وثيدة، الجسم كله إلى الأمام أثناء كل حركة لسيقانهم الطويلة، المعوجة، المشوهة بسبب الأعمال الشاقة، بسبب الجهد الكبير على المحراث الذي يرفع، في الوقت نفسه، الكتف الأيسر إلى الأعلى، ويميل القامة، بسبب حصاد القمح الذي يباعد ما بين الركبتين، من أجل أن يأخذ توازناً صلباً، بسبب كل الأشغال البطيئة والشاقة في البادية. بذلتهم الزرقاء، المصمغة، اللامعة، كما أنها طليت بالدهن، موشاة الياقة والمعصمين برسم صغير من خيط

(1) صدرت الدراسة في كتاب: في المعنى II.

Greimas (A. J.), *Du sens II*, op. cit.

Maupassant (Guy de), *Contes et nouvelles*, op. cit., p. 1080.

(2)

يستمعن إلى العروض، يتمسكن بأثمانهن، الملامح جافة، الوجه خالٍ من أي انفعال، أو، فجأة، بموافقتهن على التخفيض المقترح، ينادين على الزبون الذي يطفق في الابتعاد، ببطء:

- انتهى الأمر، السيد أنتم. أتركه، لكم.

بعد ذلك، شيئاً فشيئاً، تقفر الساحة من الذين يشغلونها، ويرن جرس الصلاة إعلاناً بحلول الثانية عشرة، أما الذين ظلُّوا بعيداً، فانتشروا داخل المطاعم.

عند السيد جوردان، كانت القاعة الكبيرة غاصة بالآكلين، كما كانت الساحة الواسعة غاصة بالآكلين والعربات من كل الأنواع، عربات بعجلتين، عربات بعجلتين ويسقف قابل للطي، عربات نقل الأشخاص بمقاعد، مركبات خفيفة، عربات نقل صغيرة لا اسم لها، صفراء بالوحل، مشوهة الشكل، مرممة، ترفع إلى السماء، مثل ساعدين، عرائشها الخشبية، أو يكون أنفها إلى الأرض ومؤخرتها في الهواء.

قريباً جداً من المتعشّين، القاعدين إلى الطعام، توجد المدفأة الضخمة، ممتلئة باللهيب المضيء، ترسل حرارة قوية إلى ظهر الصف الذي يوجد على اليمين. ثلاثة سفافيد تدور، محملة بفراخ الدجاج، بالحمام وأفخاذ الخرفان؛ ورائحة اللحم المشوي الشهية، ورائحة العصير المنساب على الجلد المشوي تتعالى من الموقد، تشعل المسرّات، وتبلل الأفواه.

كل الأرستقراطية الفلاحية كانت تأكل هنا، عند السيد جوردان، صاحب مطعم ونخّاس، داهية كانت له ثروة.

كانت الأطباق تعبر، تفرّغ مثل أباريق خمر التفاح الأصفر. كل

واحد يحكي عن أعماله، عن شراواته وعن بيوعاته. يحصلون على أخبار المحاصيل. الوقت كان جيداً بالنسبة إلى الخُضر، غير أنه يعدُّ شائبكاً بعض الشيء بالنسبة إلى الحبوب.

فجأة، قرع الطبل داخل الساحة، أمام المنزل الكل هبَّ واقفاً في الحال باستثناء بعض اللامبالين، ثم جرى الجميع إلى الباب، إلى النوافذ، الفم ما زال ممتلئاً والمنشفة باليد.

بعدما أن أنهى قرع الطبل، صاح المنادي العمومي بنبرة مرتجة، مؤكداً على الجمل التي ينطق بها تأكيداً في غير محله:

- ليكن في علم سكان كودرفيل، وبصفة عامة، في علم كل الأشخاص الحاضرين في السوق، أنه قد ضاعت صبيحة اليوم على طريق بوزفيل، ما بين الساعة التاسعة والعاشر، محفظة نقود جلدية سوداء تحتوي على خمسمئة فرنك وعلى أوراق بعض الأعمال. يرجى ممن عثر عليها أن يرجعها إلى البلدية، فوراً، أو عند السيد فورتيني هولبراك من أهالي مانفيل؟ ستكون هناك مكافأة من عشرين فرنكاً.

ثم غادر الرجل المكان. وكانت تتناهى إلى الأسماع مرة أخرى، أيضاً، ومن بعيد، الضربات الصمّاء للآلة والصوت المتضائل للمنادي.

حينئذٍ، بدأ الحديث عن هذا الحدث، بتعداد الحظوظ التي يتوفر عليها السيد هولبراك ليعثر أو لا يعثر على محفظة نقوده.

في ذلك الوقت، انتهت الوجبة.

وبينما كان الجمع منشغلاً بالانتهاء من شرب القهوة، ظهر عريف الدرك على عتبة المطعم.

تبادلا الشتائم والسب طوال ساعة. ثم تفتيش السيد هوشكورن تحت طلبه. لم يجدوا عنده شيئاً.

في النهاية، العمدة، حائراً جداً، تركه لحال سبيله، وحذّره بأنه سيخطر النيابة العامة وسيصدر أوامره.

انتشر الخبر. عند خروجه من البلدية كان الشيخ محاطاً، انهالت عليه الأسئلة بفضول جدّي وساخر، ولكن دون أن يتسرب إليه أي سخط. وشرع في سرد حكاية الخيط. غير أن لا أحد صدّقه. كانوا يضحكون.

كان يسير، يتم إيقافه من لدن الجميع، يوقف معارفه، يعيد من دون نهاية حكايته واحتجاجاته، يظهر جيوبه المقلوبة ليبرهن على أنه لا يملك شيئاً.

كانوا يقولون له:

- اذهب؛ أيها الماكرا

يغتاظ، يشتدّ حنقه، كان هائجاً، مكدرّاً لأن لا أحد صدقه، لا يعرف ما يفعله وكان يخكي دائماً قصته.

أقبل الليل. حان وقت الذهاب. مضى إلى حال سبيله صحبة ثلاثة من جيرانه، في الطريق عيّن لهم المكان الذي جمع فيه طرف الخيط؛ وطوال الطريق تكلم عن مغامرته.

في المساء، قام بجولة في بلدة بريوتي، من أجل أن يقول ذلك لكل الناس. لم يجد سوى منكرين.

سقط من ذلك سقيماً طوال الليل.

في الغد، حوالي الواحدة زوالاً، ماريوس بومال، خادم في

ضبيعة السيد بروتون، مزارع بيموفيل يُرجع محفظة النقود بمحتواها للسيد هولبراك من مانفيل.

هذا الرجل يزعم، فعلاً، أنه عثر على هذا الشيء على قارعة الطريق؛ لكنه، لكونه لا يعرف القراءة حمله إلى المنزل ومنحه لسيده.

انتشر الخبر في الضواحي. أُخبر السيد هوشكورن بذلك. شرع في الحال في جولة وطفق يحكي قصته مكملًا إياها بالنهاية المنفرجة. كان يبتهج بانتصاره.

- إن ما يسبب لي الحزن، كان يقول، ليس هو هذا الشيء، تفهمون؛ ولكنه الكذب. لا يوجد هناك شيء يؤدي، كما أن تكون موضع نبذ بسبب كذبة.

يقضي النهار كله وهو يتحدث عن مغامرته، يحكيها على الطرقات للعابرين، في الحانة، للناس الذين يشربون، عند الخروج من الكنيسة الأحد اللاحق. كان يوقف غرباء من أجل أن يحكي مغامرته لهم. يعدُّ الآن قرير العين، ومع ذلك إن شيئاً ما يقض مضجعه من دون أن يعرف بدقة ما هو هذا الشيء. كانوا يعطون الانطباع بأنهم يمزحون وهم يسمعون. لا يبدو أنهم كانوا مقتنعين. كان يعنُّ له أنه يشتم وجود أحاديث من وراء ظهره.

يوم الثلاثاء من الأسبوع اللاحق، توجه إلى سوق كودرفيل، فقط، مدفوعاً بالحاجة إلى حكي حالته.

مالاندان، واقفاً على بابه، يشرع في الضحك، وهو يراه ماراً.

لماذا؟

دنا من مزارع من كريكوتو، لم يدعه يكمل كلامه، رماه بضربة

حينئذٍ، بدأ من جديد في سرد المغامرة، بتمطيط المحكي كل يوم، بإضافة، كل مرة، حجج جديدة، احتجاجات أكثر قوة، بأنواع من القسم أكثر علانية، كان يتخيلها، يحضرها أثناء ساعات عزله، الذهن منشغل فقط بقصة الخيط.

أصبح يصدّق أقل فأقل إلى حدّ أن دفاعه أصبح أكثر تعقيداً ومحاجته أكثر حذفاً؟

- هذه، إنها حجج كاذب؛ هذا ما كانوا يقولونه في غيبته.
كان يحسّ هذا، فأصبح شديد القلق، يضني نفسه بجهود لا طائل من ورائها.

أصبح الذبول بادياً عليه بمجرد رؤيته.
المتفكّهون الآن يدفعون به لحكي قصة الخيط من أجل التسلية، كما ندفع بالجندي لحكي قصة المعركة التي خاضها. ذهنه، الذي أصيب في العمق، بدأ يضعف.

وحوالي نهاية ديسمبر، لزم الفراش.
قضى نحبه خلال الأيام الأولى من يناير، وفي هذيان الاحتضار، كان يؤكد على براءته، مكرراً:

- خيط صغير... خيط صغير... خذ، ها هو، سيدي العمدة.

1. وضعية الوصف داخل الخطاب الروائي.

قبل أن نباشر التحليل الداخلي للوحدات النصية المعروفة بصفتها وحدات «وصفية»، يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نعمل على تطهيرها داخل مجموعة النص الأدبي، على تمييزها، أيضاً، من

بالمقابل، إن الإطار-المكاني الزمني، المحدّد بهذه الصيغة لا يعدّ فقط إطاراً شكلياً، إنه أيضاً فضاء الانتقالات والوقائع وفضاء سلوكات فواعل السرد الرئيسة: نتيجة هذا، إن العلائق بين الفضاءات والفواعل، بين التبونيمات والأنثروبونيمات وكذا تغيراتها، تعدّ دالة سردياً.

للهولة الأولى، إن تقطيع المحكي كما حصلنا عليه، يوافق في خطوطه العامة التمثيل الأصلي لعدد كبير من الموضوعات السردية، حيث يذكّرنا، من بين ما يذكّرنا به، بنتائج التحليل البروبي للحكايات الروسية العجيبة. لا تظهر الاختلافات الدالة، على الأقل، حالاً: على النقيض من المحكي البروبي، حيث يوجد البطل، أولاً وقبل كل شيء، في اتصال مع المجتمع، وينتقل بعد ذلك نحو فضاءات العزلة والفضاءات العدائية من أجل أن ينجز فيها أفعاله الباهرة، البطل عند موباسان هو بطل وحيد ينتقل من أجل أن يتصل بهذا الفضاء: فضاء-فعل مرجعي يعدّ، تحديداً، فضاء الانفصال والمجابهة الانزوائية، يتقدم هنا بصفته فضاء الاتصال والمواجهة الاجتماعية.

إذاً، وقبل أي تحليل للمحتوى، يمكن أن نقول إن أ) البنية السردية تتقدم بصفته مواجهة بين فاعلين رئيسين: الفرد والمجتمع (وهو ما يبدو بديهياً)، وإن ب) مقاطع النصّ المعيّنة، تقليدياً، بصفته «مقاطع وصفية» تعدّ، من وجهة نظر سردية، محمّلة بوظيفة محدّدة هي وظيفة إقرار عامل جماعي والدفع به للفعل، العامل الجماعي المُسمّى بالمجتمع (وهو لا يزال ينتظر البرهنة).

1-2: التقطيع بحسب المعرفة.

بالانطلاق من مبدأ أن كل حشو دلالي يعدُّ دالاً داخل نصّ مغلق - على النقيض من النصوص المنفتحة التي لا يعدُّ فيها الحشو سوى «تشويش» - وأنه أكثر دلالة إلى حدّ أنه يصبح متمظهراً من خلال كلمات متطابقة أو قابلة للمقارنة داخل اللُّغة الطبيعية، يمكن أن نسجّل مثل سمة شكلية، الجملة التي تَتَمُّ استعادتها مرتين:

انتشر الخبر،

انتشر الخبر في (الضواحي)؛

هذه السمة تتأكد بسبب حضور جملة حشوية، أخرى على بُعد

سطين فقط:

وشرع في سرد حكاية الخيط

وطفق يحكي قصته مكملًا إياها بالنهاية المنفرجة.

إذا كان «الخبر» الذي ينتشر يمكن أن يعتبر مثل نشر المعرفة الاجتماعية و«حكاية الخيط» مثل نشر المعرفة الفردية، يمكن أن نقول إن السمات التي قمنا بإدماجها تؤسّس حدّاً داخل المحكي الذي، انطلاقاً من هذا، يتقدم مثل محكي المجابهة بين معرفتين ونوعين من معرفة-الفعل، البطل-الفرد الذي يبحث على إقناع الرأي العام، والبطل-المجتمع، المضاد، الذي يواجهه بتأويله الخاص للوقائع. نلاحظ، من جهة أخرى، جيداً أن هذه المعرفة الاختلافية التي تجد نفسها مدمجة - هذا الفاعل يعرف هذا الشيء وهذا الشيء الآخر - تقابلها، في الجزء الأول من المحكي، المعرفة المطلقة للذات الساردة، والتي، مُشهادة القارئ مثل شريك متواطئ، تتحدث عن الناس وعن الأشياء كما لو أنها تعدُّ حاضرة في كل مكان وعالمة

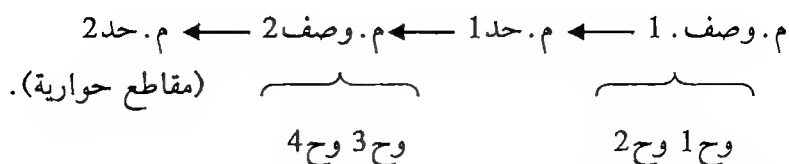
بكل شيء. يتحصل من هذا أن الجزء الأول من المحكي - الذي يشمل «المقاطع الوصفية» التي نشتغل بها - مخصص لتمثيل، في علاقته بالمعرفة الفردية أو الاجتماعية التي تعدُّ «موضوع» الجزء الثاني، الكينونة وفعل الفواعل الرئيسة. تقطيع جديد للمحكي يظهر، بهذه الضيغة، وفق التناسب:

الجزء الأول	الجزء الثاني
الكينونة والأفعال الاجتماعية	المعرفة الاجتماعية
الكينونة والأفعال الفردية	المعرفة الفردية

بحسب نموذجنا التوقعي، المقاطع التي تُسمّى بالوصفية ستكون لها وظيفة إدماج، داخل المحكي، العامل الجماعي: مجتمع، وتقديره وفق كينونته ووفق الفعل الذي ينجزه. وهو ما يبقى، طبعاً، رهيناً بالتأكيد.

1-3: التقطيع بحسب المعايير النحوية.

إضافة إلى معياري التقطيع السالفين، يمكن أن نضيف إليهما، بيسر، 'معياراً ثالثاً مقدماً لنا من لدن الكاتب بفضل التقيّد الدقيق بالقواعد الكلاسيكية للنثر في القرن التاسع عشر، التي تخصّص بسمات زمنية خاصة، الوحدات النصية المميزة، من «وحدات وصفية»، «محكيات» و«حوارات»: نعرف أن الوحدات الوصفية، في هذه الفترة، تتميز باستعمال زمن للاستمرار وتكون محددة بأزمة الماضي البسيط التي تسيّجها.



(3) نلاحظ، هكذا إذًا، أن التعديل المركبي للخطاب إلى مقاطع وصفية وحدثية يوافقه، إجمالاً، تقابل المحتويات التي تحيل تارة على العامل الجماعي، وتارة على العامل الفردي (السيد هوشكورن).

2. التحليل الدلالي للمقاطع الوصفية.

تقطيع النصّ مثلما أجري، وإذا كان يسمح، إلى حدّ ما، بتوقع الوظيفة العامة لـ «الوصف»، فإنه لا يخبرنا بالمحتويات المستثمرة والموزعة عبر العديد من الوحدات. لذلك نكون ملزمين بالاستعانة، في هذه المرحلة الجديدة، بالتحليل الدلالي للوحدات الوصفية المتحققة.

2-1: الوحدة الوصفية 1: العامل المتطوع.

(1) الوحدة الوصفية الأولى تمثّل «الفلاحون ونساؤهم» وهم ينتقلون «على كل الطرقات، حول كودرفيل». والحال، أن الانتقال، نعرف ذلك، يؤوّل عامة، في الإطار السردى بصفته تمظهرًا تصويريًا للرغبة، بعبارة أخرى، مثل الشكل السردى لجهة الإرادة التي تمتلكها الذات. ما دام أن الانتقال له موضوع يمكن أن نحدده مثل بحث؛ التفسير الذي أعطى من لدن موباسان - «لأن اليوم، هو يوم

سوق» - يشير، بدقة، إلى معنى البحث الذي هو البحث عن التواصل الاقتصادي والاجتماعي.

(2) الوحدة السردية نفسها تعدُّ مقسمة طوبوغرافياً إلى ثلاث فقرات، وهي - من دون الأخذ بعين الاعتبار لبعض «الانتقالات الأسلوبية» - توافق تقديم ثلاثة أنماط من الفواعل في أدوارهم بصفتهن ذوات:

- الرجال.

- نساء.

- ناس داخل عربات.

توزيع الوحدة السردية يظهر هنا، منذ الوهلة الأولى، متناظراً، لأنها تشرك، بالتعاقب، مقولتين تصنيفيتين متميزتين. نستطيع أن نقول إن الرجال والنساء، موزَّعين بحسب مقولة الجنس، يمثلون، بالجمع، كل المجتمع. غير أنهم، بصفتهن راجلين، فإن الرجال والنساء يقابلون الذين يستقلون العربات (الناس بالعربات) وفق مقولة متميزة، وهي التي تشرك اعتبارات الغنى، الجاه، بمعنى أنها تشرك، إجمالاً، اعتبارات التراتبية وفق نمط معيّن من السلطة. سنرى، من جهة أخرى، بعيداً بعض الشيء، القيود التي يجب الإدلاء بها فيما يخصّ دور التمييز بين الجنسين في وصف المجتمع.

ليسمح لنا الاستباق قليلاً من أجل أن نقول إن هذا الترتيب المزدوج بحسب الجنس وبحسب السلطة لا يتم الإبقاء عليه فقط طوال الوصف، ولكن يمكن أن يعتبر مثل المبدأ المولّد للوصف؛ نلاحظ هكذا أن الوحدات الوصفية التي تتعاقب (وح3، وح4) تعدُّ تمطيطات نسبية للوحدة الأولى:

وح1: على الطريق: الراجلون (النساء والرجال)

الناس الذين يستقلون العربات

← في المدينة: وح3: في السوق (الراجلون)

وح4: في المطعم (الناس الذين يستقلون العربات)

يرمي تنظيم أول وحدة وصفية، على مستوى التمطيط الخطابي، إلى إنتاج وحدتين سرديتين جديدتين. يتميز مستوى التنظيم الخطابي آنذاك من المستوى السردى: الوظائف السردية المسنودة للوحدات السردية المولدة، هكذا، لا تمثل لمبادئ التنظيم نفسها.

(3) المجموعة البشرية في حالة انتقال مقدمة ليس كجماعة أفراد وليس كمجتمع كلي، ولكن بالأحرى مثل جماعة من الطبقات المسكوكة، طبقات الرجال وطبقات النساء. طبقة الأفراد هذه منظمّة إلى مجموعات ترتيبية تظهر بداهة حين نقابلها بالمجتمع، المقدم، في الوحدة السردية 2، مثل «حشد»، «جمهرة»، «جمع»، بمعنى أنها تقدّم مثل كلية غير مميزة.

منذ ذلك الوقت، إن الانتقال من الوحدة السردية 1 إلى الوحدة السردية 2 يظهر مثل تحول المجموعات الترتيبية من الأفراد الخاضعين للتسكيك إلى مجتمع كلي غير خاضع للتفريد. كل شيء يتم كما أن مجموعة من الإرادات الخاصة تتجه نحو فضاء مشترك من أجل أن تكون كائناً جماعياً مخصّصاً بإرادة عامة:

وح1: على الطرقات ← وح2: على ساحة السوق

أفراد + إرادات خاصة مجتمعات + إرادة عامة

(4) لم نأخذ بعين الاعتبار إلى حدّ الآن، من بين الفواعل في

2-2: الوحدة السردية 2: الفاعل التصويري.

لا يمكن أن يُنجز التحليل الدلالي سوى بالبحث عن التشابهات وعن التقابلات: وهكذا، إن هذه الوحدة السردية الوصفية الثانية المحددة سلفاً، وفق المعيار المكاني، بحضور الحشد من الناس على ساحة السوق، قد تمّ تخصيصها بمقارنتها بالوحدة الأولى:

- تركيباً، بصفته مكونة للعامل الجماعي؛

- دلاليّاً، مثل تحديد المجتمع بواسطة العنصر المركّب / بشرية / + / حيوانية / .

هذه الوحدة الثانية، كما هي الوحدة الأولى زد على ذلك، تظهر مثل وصف للمجتمع كما هو معروف وكما هو مدرك خيالياً من لدن الذات الساردة. غير أنه إذا كانت الوحدة السردية الأولى تتصل فقط بالإدراك البصري للسارد، فإن الوحدة السردية الثانية تعدّ خاضعة لتنويع الأنظمة الحواسية، يشتغل بالنسبة إليها مثل مبدأ للتنظيم الداخلي. الوصف ينجز، هكذا، مثل وصف مؤسّس بالتتابع على إدراكات:

- بصرية،

- سمعية،

- شمّية.

ثلاثة أنظمة، وهي مبسّطة مركّبة، تنتج، على المستوى العمودي، أثر الكلّيانة الحواسية، أي الإدراك الشامل للمجتمع، كما هو مدرك، تصويرياً، بواسطة جميع الحواس. أيضاً، علّة الوجود الإضافي لهذه الوحدة السردية كما تظهر لنا هي تقديم

(5) في الواقع، الجوهرى في التواصل الاجتماعي يتقدم على شكل «مساومات لا تنتهي»، حيث إن موقف المشتري، محدداً من خلال عبارات: الحيرة، التردد، «الخوف من الوقوع في الشرك»، يصبح في خدمة فكرة وحيدة، وهي «اكتشاف حيلة الإنسان وعيب الحيوان. بعبارة أخرى، التواصل الاجتماعي يفهم بطريقة تكون فيها الإرساليات المبنوثة من لدن المرسل، بالتحديد، كذباً مصاعاً جهاً بظاهر الحقيقة؛ استقبال الإرسالية بواسطة المرسل إليه يفترض فيه، حينئذٍ، أن يكون فعلاً تأويلياً يهدف إلى أن يقرأ كذباً كل ما يظهر حقيقياً.

الدور الذي يمكن أن نسنده للوحدة الوصفية 3 داخل النظام العام للسرد يتحدد بدقة آنذاك: الطبقة الفلاحية عند موباسان، المكونة من عامل جماعي مالك لإرادة الفعل، توجد هنا في وضع من أجل أن تنجز فعلها الاجتماعي الذي يعدُّ مزدوجاً: الفعل الاقتصادي، الذي يمكن أن نعتبره تقريرياً والذي يجب أن يكون أساسياً، يعدُّ، على الرغم من ذلك، مهيمناً عليه بشكل كبير بواسطة فعل ثانٍ، إيحائي، الذي يعدُّ قاعدة العلاقات الاجتماعية، والذي يركز على الخداع وعلى عدم الوقوع ضحية الخداع، داخل عالم لا تكون فيه الحقيقة سوى قناع للكذب. نلاحظ أن هذا التقديم للفعل الاجتماعي - الذي يشارك فيه السيد هوشكورن كلياً ويقبل به - يعدُّ سردياً ضرورياً: الفرد الذي يريد أن يبين حقيقة عارية على شكل طرف خيط، سيصبح في مواجهة مع المجتمع الذي لا يمكن أن يرى في هذه الحقيقة سوى الكذب.

2-4: الوحدة السردية 4: الجزاء الاجتماعي.

تقدّم الوحدة السردية الأخيرة، التي تبقى في انتظار التحليل، تعقيداً أسلوبياً كبيراً: وهي تنهي القسم الوصفي للنص، تمنح للكاتب، وفق تقاليد القرن التاسع عشر، فرصة إبراز «فنه» بإنجاز مقطع يُظهر فيه براعة أسلوبه. وانطلاقاً من اهتمامنا بالدرجة الأولى بالوظائف السردية للوحدة السردية، سوف لن نبحت في استيفاء كل الإمكانيات الدلالية، وسنقتصر فقط على استخلاص العناصر التي تظهر لنا ملائمة سردياً.

(1) لقد سبق لنا أن سجلنا أن الوحدة السردية 4 تقابل الوحدة السردية 3، من حيث أنها تقدّم الناس على عربات، مجتمعين داخل المطعم الجيد، وهي تميزهم من الناس الراجلين الذين رأيناهم في ساحة السوق. هذا، من جديد، لا يعدّ حقيقة سوى من وجهة نظر التنظيم. الدلالي الداخلي للنص: بحسب الحقيقة الخارجية، «المرجعية»، السيد هوشكورن، الذي جاء مشياً على قدميه، لم يكن واجباً عليه أن يوجد في المطعم.

من جانب آخر، «منطق» تعاقب الوحدات السردية يحدّد بدقة خصائص طبقة الناس بالعربات: داخل المطعم، يوجد وحدهم فقط الذين يمكن أن يُعتبروا مثل مستفيدين من الفعل الاجتماعي الموصوف سابقاً، أي الذين حصلوا على أرباح اقتصادية نتيجة المعرفة في مجال الفعل الاجتماعي (معرفة-الفعل الاجتماعي)، والذي يتصل، سبق وأن رأينا ذلك، بإحباط كل الحيل، ويتأويل، بشكل سليم، الكذب الكوني الذي يتخفّى تحت مظاهر الحقيقة. يتعلق الأمر هنا بالناس الذين خرجوا منتصرين من الاختبارات الاجتماعية.

(2) الأشكال السردية المعيارية تتوقع أنه نتيجة للفعل الناجح، الذات المنتصرة تبحث عن الحصول على اعتراف بهذه الصفة، إنه يبحث، بحسب اللغة السردية المستعملة عادة، عن «التمجيد»، الذي لا يمكن أن يمنح لها إلا من لدن مرسل هو الذي يوجه له الشمار التي يجنيها من بحثه. هكذا، على الأقل، تتحدد، قُبلياً، وفق النموذج التوقعي الوظيفة السردية للوحدة السردية التي ندرس. هل توافق المعطيات الوصفية التوقعات؟

(3) نظرة سطحية نلقيها على الوحدة تسمح بالتمييز، أولاً، بين فقرتين أوليتين، منظمتين، بشكلٍ تناظري، تضعان في تقابل تكاملي وصف العربات ووصف المتعشين. تكامل الوصفين يعدُّ، فضلاً عن ذلك، موسوماً من لدن موباسان، بطريقة جلية:

كانت القاعة الكبيرة غاصة بالآكلين

كما

كانت الساحة الواسعة غاصة بالعربات...

المقارنة التي تجيز تراكب - وتساوي - الوصفين (الإجراء الذي سبق وأن لاحظناه بالتحقق من تطابق الصور البشرية والحيوانية على الطرقات)، وبما أن الخيل ظلت، بشكل غريب، غائبة عن هذين الوصفين، فإن العربات الفارغة تكون في علاقة استعارية مع الآكلين الجالسين إلى مائدة الطعام. بواسطة هذه الصيرورة الاستعارية غير المباشرة، طرح مشكل المرسل وتمَّ خله بواسطة موباسان الذي يصف هذه العربات «المؤنسة» وكما أنها «ترفع إلى السماء، مثل ساعدين، عرائشها الخشبية، أو يكون أنفها إلى الأرض ومؤخرتها في الهواء».

وفيها كل «الأرستقراطية الفلاحية» تجد نفسها مكثفة تصويرياً في شخص مالك المطعم، كاهن كبير يحتفل بقداس على مقربة من النار المرفوضة، محدّد مثل «داهية كانت له ثروة»، بمعنى أنه جعل ذلك، في الوقت نفسه، بفعله وبكينونته.

3. التقطيع النصي وتنظيم النص.

هذا التحليل الموجز - لأنه كان لا يرمي سوى لتوضيح مظهر واحد للنصّ وهو المأخوذ بعين الاعتبار - يثير عدداً معيّناً من المسائل التي يمكن أن تثير اهتمام السيميائي السردية.

(1) التمايزات الكلاسيكية، التي نتعرف، وفقها، إلى الوحدات النصية، مثل «الوصف»، «المحكيات»، «الحوارات»... إلخ. وعلى الرغم من أنها تظلّ ملائمة على مستوى التمظهر الخطابي للسطح، فإنها ليست كذلك حين يحاول التحليل استيضاح التنظيم العميق للنصّ حينما ينظر إليه بصفته كلاً من الدلالة. وهكذا، في الوقت الذي نعتبر فيه أن السردية، بالمعنى العام لهذا المصطلح، تعدّ أحد مبادئ تمفصل النصوص على المستوى العميق، فإن الشكل الخطابي المسند إلى الوحدات النصية سيضاعف بوظيفة سردية ثانية.

(2) التحليل الذي قمنا بإجرائه يُبرز، بخاصة، أن القسم الوصفي الخالص للنصّ عند موباسان الذي نقابله، عموماً، بالقسم الذي يحتوي على السرد بمعناه الخالص، يعدّ، حقيقة، منظماً وفق القواعد المعمارية للسردية ويمثل، في سيرورته المركّبة، بُنية سردية يمكن التعرف إليها بسهولة. الوصف على الرغم من أنه حاول أن يكون مقسماً إلى «لوحات» والاستجابة لنوع من «المنطق» المكاني -

1- ثبت الرموز الواردة في الترجمة

ع	عامل .
م	موضوع .
ف	فعل .
فا	فاعل .
ب س	برنامج سردي .
ق ج	قيمة جهية .
مو-قا	موضوع-قيمة .
ق/ف	قدرة على الفعل .
ق/ف	لا-قدرة على الفعل .
U	انفصال .
N	اتصال .
م	مقطع .
و ح س	وحدة سردية .
و ح و	وحدة وصفية .
م و	مقطع وصفي .
م حد	مقطع حدثي .

2- ثبت المصطلحات

A

1	Actants de la communication	عوامل التواصل
2	Actant collectif	عامل جماعي
3	Actants de la narration	عوامل السرد
4	Actant-objet	عامل موضوع
5	Acte	فعل
6	Acteurs	فواعل
7	Acteur figuratif	فاعل تصويري
8	Anthropomorphe	مؤنسن
9	Anti-sujet	البطل المضاد

B

1	Binaire	اثنائي
2	Binarité	اثنائية

C

1	Carré sémiotique	مربع سيميائي
2	Catégorie	مقولة
3	Cognitif	إدراكي
4	Communication contraignante	تواصل قسري
5	Compétence	استطاعة
6	Compétence modale	استطاعة جهية
7	Conjonction	اتصال
8	Conte populaire	حكاية عجيبة
9	Contradiction	تناقض
10	Contrariété	تضاد
11	Conversion	تحويل

D

1	Découpage	تقطيع
2	Désir	رغبة
3	Destinataire	مرسل إليه
4	Destinateur	مرسل
5	Dexis	إشارية
6	Discours	خطاب
7	Discours narratif	خطاب سردي

8	Disjonction	انفصال
9	Distributionnalisme	توزيعية

E

1	Enoncé	ملفوظ
2	Enoncé descriptif	ملفوظ ناقل
3	Enoncé modal	ملفوظ جهي
4	Enoncé narratif	ملفوظ سردي
5	Epreuve	اختبار
6	Epreuve décisive	اختبار رئيسي
7	Epreuve glorifiante	اختبار تمجيدي
8	Epreuve qualifiante	اختبار تأهيلي
9	Expansion	تمطيط

F

1	Faire	الفعل
2	Faire cognitif	فعل إدراكي
3	Faire factitif	فعل تفعيلي
4	Faire interprétatif	فعل تأويلي
5	Faire persuasif	فعل إقناعي
6	Figure	صورة

N

1	Narrativité	السردية
2	Négation	نفي
3	Nœud	عقدة
4	Noyau taxinomique	نواة تصنيفية

O

1	Orientation	توجيه
---	-------------	-------

P

1	Paraître	الظاهر
2	Parcours	مسار
3	Parcours narratif	مسار سردي
4	Parcours génératif	مسار توليدي
5	Performance	إنجاز
6	Polémique	جدلية
7	Programme narratif	برنامج سردي
8	Position	موقع

R

1	Relation différentielle	علاقة اختلافية
2	Réseau de relations	شبكة علائقية

20	Sujet manipulateur	ذات مستخرة
21	Sujet opérateur	فاعل إجرائي
22	Syntaxe	تركيب
23	Syntaxe narrative	التركيب السردية
24	Syntaxe profonde	تركيب عميق
25	Syntaxe topologique	تركيب طبولوجي

T

1	Temporalisation	تزمين
2	Transfert de valeurs modales	نقل القيم الجهمية

U

1	Unité narrative	وحدة سردية
2	Unité textuelle	وحدة نصية

V

1	Valeur	قيمة
2	Valeur objective	قيمة موضوعية
3	Valeur subjective	قيمة ذاتية
4	Vouloir	إرادة

3- بيبليوغرافيا

1. المتن: النصوص المترجمة.

- Greimas (A. J.), « Éléments d'une grammaire narrative », in *Du sens*, Seuil, Paris, pp. 157-183.
- « La quête de la peur. Réflexions sur un groupe de contes populaires », in *Du sens*, Seuil, Paris, 1970, pp. 231-247.
- « Entretien avec A. J. Greimas sur les structures élémentaires de la signification (Frédéric Nef) », in *Structures élémentaires de la signification*, Éditions Complexe, Bruxelles, 1976, pp. 6-18.
- « Schéma narratif » (en collaboration avec J. Courtés), in *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, Hachette, Paris, 1979, pp. 244-247.
- « Les actants, les acteurs et les figures », in *Du sens II*, Seuil, Paris, 1983, pp. 49-66.
- « Le Défi », in *Du sens II*, Seuil, Paris, 1983, pp. 213-223.
- « Description et narrativité à propos de La Ficelle de Guy de Maupassant », in *Du sens II*, Seuil, Paris, 1983, pp. 135-155.
- « Postulats, méthodes et enjeux. Algirdas Julien Greimas mis à la question », in *Sémiotique en jeu. A partir et autour de l'œuvre d'A. J. Greimas*, Actes de la décade de Cerisy, Cerisy-la-Salle, 4-14 Aout 1983, M. Arrivé et J. C. Coquet (dir), Éditions Hadès-Benjamins, Paris-Amsterdam, 1987, pp. 291-298.

2. بيبليوغرافيا الترجمة.

أ. باللغة العربية

بنكراد، سعيد، السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، 2003.

مفتاح، محمد، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 1987.

نوسي، عبد المجيد، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، المدارس، 2002.

ب. باللغة الأجنبية.

Austin (John, L.), *Quand dire, c'est faire*, Seuil, Paris, 1970.

Bachelard (Gaston), *L'eau et les rêves. Essai sur l'imagination de la matière*, Corti, Paris, 1943.

Barthes (Roland), *Mythologies*, Seuil, coll. « Points », Paris, 1975. *Système de la mode*, Seuil, Paris, 1967.

Brondal (Viggo), *Essais de linguistique générale*, E. Munksgaard, Copenhagen, 1943.

Brémont (Claude), *Logique du récit*, Seuil, Paris, 1973.

Chomsky (Noam), *Aspects de la théorie syntaxique*, traduction de Jean-Claude Milner, Seuil, Paris, 1971.

Combet (Georges), « Complexification et carré performatoire », in *Structures élémentaires de la signification*, Éditions Complexe, Bruxelles, 1976.

Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, Larousse, Paris, 1966.

«L'actualité du saussurisme» (1956), in *La mode en 1830*, PUF, Paris, 2000.

Hjelmslev (Louis), *Prolégomènes à une théorie du langage*, Éditions de Minuit, Paris, 1968.

Jakobson (Roman), *Essais de linguistique générale*, Éditions de

- Minuit, Paris, 1963.
- Lévi-Strauss (Claude), *Le cru et le cuit*, Plon, Paris, 1964.
- Du miel aux cendres*, Plon, Paris, 1966.
- L'origine des manières de table*, Plon, Paris, 1968.
- L'homme nu*, Plon, Paris, 1971.
- « La structure et la forme. Réflexions sur un ouvrage de Vladimir Propp, in *Anthropologie structurale deux*, Plon, Paris, 1973.
- Matoré (Georges), *La méthode en lexicologie*, Didier, Paris, 1953.
- Maupassant (Guy de), *Contes et nouvelles*, Gallimard, Paris, 1974.
- Peirce (Charles S.), *Écrits sur le signe*, (rassemblés, traduits et commentés par Gérard Deledalle), Seuil, Paris, 1978.
- Perrault (Charles), *Le Petit Poucet*, Claude Barbin, 1697.
- Petitot (Jean), *Morphogenèse du sens*, PUF, Paris, 1985.
- Propp (Vladimir), *Morphologie du conte*, Seuil, coll. « Points », Paris, 1970.
- Saussure (Ferdinand de), *Cours de linguistique générale*, Payot, Paris, 1962.
- Tesnière (Lucien), *Éléments de syntaxe structurale*, Klincksieck, Paris, 1959.

3. بيبليوغرافيا غريماس الأساسية.

- Greimas (A. J.), « L'actualité du saussurisme (à l'occasion du 40^e anniversaire de la publication du Cours de linguistique générale) », in *Le français moderne*, 4, 1956, pp. 103-108.

أعيد نشره في كتاب:

- Greimas (A. J.), *La mode en 1830*, PUF, Paris, 2000.
- Sémantique structurale*, Larousse, Paris, 1966.
- Du sens. Essais sémiotiques*, Seuil, Paris, 1970.
- Maupassant, la sémiotique du texte. Exercices pratiques*, Seuil, Paris, 1976.

« Les acquis et les projets », préface à J. Courtés, in *Sémiotique narrative et discursive*, Hachette, Paris, 1976, pp. 5-25.

Avec J. Courtés, *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, Hachette, Paris, 1979.

Avec E. Landowski, « Les parcours du savoir », in *Introduction à l'analyse du discours en sciences sociales*, Hachette, Paris, 1979, pp. 5-28.

Du sens II. Essais sémiotiques, Seuil, Paris, 1983.

Avec J. Courtés, *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, tome 2 (Compléments, débats, propositions), Hachette, Paris, 1986.

« Postulats, méthodes et enjeux. Algirdas Julien Greimas mis à la question », in *Sémiotique en jeu. A partir et autour de l'œuvre d' A. J. Greimas*, Actes de la décade de Cerisy, Cerisy-la-Salle, 4-14 Aout 1983, M. Arrivé et J. C. Coquet (dir), Éditions Hadès-Benjamins, Paris-Amsterdam, 1987, pp. 299-330.

Avec J. Fontanille, *Sémiotique des passions. Des états de choses aux états d'âme*, Seuil, Paris, 1991.

فهرس

5 تقديم
---	-------------

الباب الأول

الأصول المعرفية لسيمائيات السرد

الفصل الأول: البنيات الأولية للدلالة

37 (لقاء مع أالجيرداس جوليان غريماس)
----	---

الفصل الثاني: المسلّمات، المناهج والرهانات:

55 أ. ج. غريماس موضع سؤال
----	------------------------------

الباب الثاني

الأسس النظرية لسيمائيات السرد

101 الفصل الأول: مبادئ النحو السردى
-----	---------------------------------------

101 1. السردية والنظرية السيميوطيقية
-----	--

101 1-1: رؤية تاريخية
-----	-------------------------

102 1-2: السردية وتمظهرها
-----	-----------------------------

- 103 3-1: السردية والسيميوطيقا
- 104 4-1: مستويات السيميوطيقا العامة
- 105 5-1: من أجل علم دلالة عميق
- 108 6-1: من أجل نحو عميق
- 108 2. مبادئ النحو العميق
- 108 1-2: النواة التصنيفية
- 110 2-2: تسريد النواة التصنيفية
- 111 3-2: توجيه العمليات التركيبية
- 112 4-2: خصائص النحو العميق
- 113 3. مبادئ النحو السردى السطحي
- 113 1-3: مشكل مستويات النحو
- 114 2-3: الملفوظات السردية
- 114 1-2-3: الفعل المؤنسن
- 115 2-2-3: الملفوظ السردى البسيط
- 116 3-2-3: الملفوظات الجهية والملفوظات الوصفية ..
- 118 4-2-3: الملفوظات الإسنادية
- 5-2-3: الملفوظات الجهية في علاقتها بالملفوظات
- 120 الإسنادية
- 121 3-3: الوحدات السردية
- 121 1-3-3: الإنجاز وطبيعته الجدلية
- 123 2-3-3: العناصر المكونة للإنجاز

194	2-6: بطل أم إله؟
195	3. الختام
195	3-1: المكافأة تسبق العقد
197	3-2: من يخيف البطل؟
201	الفصل الثاني: التحدي
201	1. إطار مفاهيمي
203	2. الفعل الإقناعي
206	3. الفعل التأويلي
206	3-1: تواصل قسري
208	3-2: مواضيع الاختيار
210	3-3: مرجعية القيم الدامجة
212	3-4: الثمين
213	3-5: التماهي
215	4. نحو الخطاب

الفصل الثالث: الوصف والسردية حول قصة: الخيط،

219	لغي دو موباسان
229	1. وضعية الوصف داخل الخطاب الروائي
230	1-1: التقطيع وفق المعايير المكانية-الزمانية
233	1-2: التقطيع بحسب المعرفة
234	1-3: التقطيع بحسب المعايير النحوية

2. التحليل الدلالي للمقاطع الوصفية 236
- 1-2: الوحدة الوصفية 1: العامل المتطوع 236
- 2-2: الوحدة السردية 2: الفاعل التصوري 240
- 3-2: الوحدة السردية 3: الفعل الاجتماعي 241
- 4-2: الوحدة السردية 4: الجزء الاجتماعي 244
3. التقطيع النصي وتنظيم النص 247
- 1- ثبت الرموز الواردة في الترجمة 251
- 2- ثبت المصطلحات 253
- 3- بيليوغرافيا 261
1. المتن: النصوص المترجمة 261
2. بيليوغرافيا الترجمة 262
3. بيليوغرافيا غريماس الأساسية 263

سيميائيات السرد

انتشر نموذج أ. ج. غريماس في حقل الدراسات السيميائية والنقدية بفضل كثير من الدراسات التي عملت على بسط المفاهيم وتقديمها. ورغم هذا الانتشار، فإن النظرية لم يُقَدِّ لها أن تُقدِّم إلى القارئ العربي من خلال ترجمة الأعمال التمثيلية الرئيسة التي تُقدِّم الأصول والأسس النظرية والتحليلات التطبيقية.

نهدف في هذه الترجمة إلى تقديم سيميائيات السرد من خلال ترجمة النصوص التي تتسم بالتمثيلية، حيث تُقدِّم تصوُّراً شمولياً للنظرية، يقف عند المفصلات المعرفية الآتية:

- الأصول المعرفية التي غدَّت هذه النظرية، لا سيما أنها تتميز بالتعدُّد والغنى؛ ذلك أنها تنهل من اللسانيات والمنطق والأنثروبولوجيا والدراسات الفلكلورية والعلوم البحتة وغيرها من الحقول.

- الأسس النظرية التي يمثلها الجهاز المفاهيمي الذي صاغته السيميائيات من خلال نماذجها.
- كما قدمنا إلى جانب هذه النصوص النظرية دراسات تحليلية تبرز مدى إجرائية هذه المفاهيم في علاقتها بالخطابات التي تناولتها.

وقد راعينا في اختيار هذه النصوص معايير التمثيلية ودينامية النظرية، حيث انصبَّ الاهتمام على ترجمة الأعمال المرجعية بالنسبة إلى المفاهيم المركزية التي سبَّغ عليها جسد النظرية، وخاصة النحو السردية الذي يُنظَّم كل المستويات التي يتمفصل حولها النموذج.

إن اختيار النصوص المترجمة لا يرمي إلى رسم تطوُّر النظرية بصيغة أفقية وحسب، ولكن ارتكز الاختيار على تقديمها في بُعدها الدينامي، أي في تطورها من الاقتراحات الرئيسة الأولى التي صاغها أ. ج. غريماس في كتاب علم الدلالة البنيوي (1966)، إلى الاقتراحات التي غطَّت مستويات المسار التوليدي في جانب التركيب السردية والخطابي (السيميوطيقا: المعجم المُعقَّلن، 1979).

كما تُعد هذه الرؤية أيضاً المُوجِّه الرئيس لاختيار الدراسات التحليلية، فقد تعدَّدت ما بين الدراسات التي تناولت الحكاية الشعبية إلى النصِّ السردية المُتمثِّل في القصة القصيرة إلى مظهر خطابي من مظاهر الخطابات الاستهوائية.

ISBN 978-9953-68-863-3



9 789953 688633

المركز الثقافي العربي



الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سبينا)
بيروت: ص. ب. 113/5168
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com